

الْبَيْعَةُ؛ بيعة الرضوان؛ بيعة العقبة؛ البيعة؛ مسجد البيك؛ البيك والبيغم؛ البيمارستان

مقالات مترجمة لدائرة المعارف؛ أ.د. دلال عباس

الْبَيْعَةُ، المعاقدة والمعاهدة والمبايعة على الطاعة للنبي أو الإمام، أو الحاكم أو الخليفة. هذه الكلمة من الجذر ب ي ع، بمعنى العطاء والمصافحة باليد

اليمنى لإيجاب عقد البيع (ابن منظور؛ الفراهيدي؛ الفَيومِي، مادة "بيع"؛ شهيدي، ص 125).

الاستعمال. قبل الإسلام، كان من عادة العرب، في أثناء البيع والشراء، أن يتصافح المشتري والبائع باليد اليمنى، لإتمام عقد البيع نهائياً، والتأكيد على الالتزام بما نص عليه، ويُسمى هذا الفعل "الْبَيْعَةُ"، أو "الصَّفْقَةُ"، ومعناه أن المعاملة قد أنجزت. كان من السائد كذلك أن يُصافح أفراد الجماعة أو القبيلة الحاكم أو رئيس القبيلة، تعبيراً عن تعهدهم بطاعته وتنفيذ أوامره. وقد سُمِّي هذا الفعل بَيْعَةً لشبهه بالْبَيْعَةِ في عقد البيع (ابن خلدون، ص 209؛ الكتاني، مج 1، ص 221-222؛ شهيدي، م. ن. ص. ن؛ د. الإسلامية، الطبعة الثانية، مادة "بيع"؛ الزحيلي، مج 6، ص 684).

على هذا الأساس عدّ عددٌ كبيرٌ من المحققين المعنى الاصطلاحي لكلمة الْبَيْعَةِ في النصوص والمصادر الإسلامية، مصافحة الشخص باليد اليمنى تعبيراً عن الإذعان لطاعته أو رئاسته (شهيدي، م. ن. ص. ن؛ الشهرستاني، ص 155؛ الفراهيدي، معلوف، مادة "بيع"). تدريجياً طرأ الكثير من التغيير والتنوع في مظاهر الْبَيْعَةِ، وأطلقت هذه التسمية تالياً على العقد أو التعهد الذي جاء هذا الفعل معبراً عنه ودليلاً عليه، وشاع، وصار متداولاً بهذا المعنى الثاني. من هنا يجب حسابان المعنى الشائع والاصطلاحي للْبَيْعَةِ في القرآن والسنة والتاريخ وعلم الكلام، والفقهاء السياسي الإسلامي، المعاهدة أو العقد الذي يُبرمه المُبايع مع الإمام، أو الحاكم، أو غيره، على أن يطيعه في أمرٍ محدّد، أو أن يطيعه طاعة مطلقة، ويخضع له، ويلتزم بما ينص عليه التعهد، وفيه به (ابن منظور؛ ابن الأثير؛ معلوف، مادة "بيع"؛ مكارم الشيرازي، مج 1، ص 517؛ السبحاني، 1985م، ص 261؛ نفسه، 1412هـ، مج 4، ص 63؛ القاسمي، مج 1، ص 273؛ عبد المجيد، ص 17-18؛ عنايت، 1983م، ص 24).

تاريخياً. كان تقليد الْبَيْعَةِ، قبل الإسلام، شائعاً، تعبيراً عن الموافقة على سيادة رئيس القبيلة، أو تعيين شخص ما في منصب مهم (سبحاني، 1985م؛ شهيدي، م. ن. ص. ن). أشار الطبري (مج 2، ص 255-256) إلى مبايعة قريش وبني كنانة قَصِيَّ بن كلاب، الجد الأعلى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، حين قرّر إخراج خزاعة من مكة. أقرّ النبي مبدئياً هذا التقليد، أو هذه العادة الاجتماعية، وأوّل بَيْعَةٍ في السيرة النبوية، بَيْعَةَ الإمام عليّ والسيدة خديجة عليهما السلام النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، على الإسلام (المجلسي، مج 65، ص 392-393؛ الحرّ العاملي، مج 1، ص 281). مع ذلك، عدّ ابن شهر آشوب (مج 2، ص 21، 24) "بَيْعَةَ العشيرة" أوّل بَيْعَةٍ في تاريخ الإسلام، في السنة الثالثة في "يوم الدار". يومئذ طلب النبي بأمر من ربه إلى بني هاشم أن يبايعوه على الإسلام، وتتصّ الأحاديث لدى أهل السنة والشيعة، على أن عليّاً، وحده، هو الذي بايع النبي، وكان أصغر الحاضرين سنّاً (الطبري، مج 2، ص 319-321). البَيْعَتان الأخريان المهمتان اللتان عُقدتا في مكة هما: بَيْعَةُ العقبة الأولى في السنة الثانية عشرة من

البعثة، وبيعة العقبة الثانية في السنة الثالثة عشرة من البعثة، والبيعتان كلتاها جرتا في موسم الحج، في الموضع المسمى العقبة (وهو في منتصف الطريق بين مكة ومنى)، وقد أسفرت البيعتان، لا سيما الثانية منهما عن هجرة الرسول من مكة إلى المدينة (← بيعة العقبة*)، أيضًا المجلسي، مج1، ص 19، ص 23-26؛ الطبري، مج2، ص 361-366؛ القاسمي، مج1، ص 253-257).

من ضمن البيعات التي جرت في المدينة ببيعة المسلمين للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، حين قرّر التوجه إلى بدر في أوائل الهجرة (المجلسي، مج65، ص 395). بيعة الرضوان* أو بيعة الشجرة أيضًا حدثت في السنة السادسة للهجرة في الحديبية (المجلسي، مج20، ص 317-377؛ الطبري، مج2، ص 632-633). ورد الحديث عن هذه البيعة في الآيتين 10 و 18 من سورة الفتح، وقد وُصفت مبايعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الآية 10، بأنها مبايعة لله عزّ وجلّ، وذمّ من ينكث البيعة، أمّا من يفى بالبيعة والعهود فله أجره في الحياة الأخرى. في الآية 18 إعلان عن رضا الله عن هذه البيعة، ووعدّ بالنصر للمؤمنين الذين بايعوا الله ورسوله، والمراد بالنصر فتح خيبر، كما يرى معظم المفسرين، أو فتح مكة كما يرى البعض.

البيعة الأخرى هي مبايعة الرجال والنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد فتح مكة (← مكة*) في السنة 8 للهجرة، والتي تشير إليها الآية 12 من سورة الممتحنة في هذه الآية، طلب إلى النبي أن يأخذ البيعة من نساء مكة اللواتي آمنن. اشتهرت هذه البيعة في كتب التفسير والحديث والتاريخ باسم (بيعة النساء)، وقد بايع النساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يسرقن ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن، ولا ينسبن ما في بطونهنّ لغير آبائهم، وأن يطعن النبي ولا يخالفنه في عمل الخير (الحرّ العاملي، مج14، ص 152-153؛ الطبري، مج3، ص 61-62؛ المجلسي، مج21، ص 97-99، 113، 134؛ البخاري، مج8، ص 125، أيضًا حول بيعة النساء ← الطبرسي، 1408هـ؛ الطباطبائي؛ الزمخشري؛ القرطبي، المادة نفسها). آخر بيعة جرت في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بحسب بعض المصادر (← المجلسي، مج37، ص 133، 138، 142، 202-203، 217)، هي بيعة المسلمين للإمام علي عليه السلام في اليوم الثامن عشر من السنة العاشرة للهجرة في موضع اسمه غدِير خم؛ وكان موضوع هذه البيعة، ولاية الإمام علي عليه السلام.

فضلاً عن هذه الآيات، يُعبّر مضمون بعض الآيات الأخرى، أو سبب نزولها، عن البيعة. قال بعض المفسرين بشأن نزول الآية 91 من سورة النحل (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم...)، إنّ هذه الآية تخاطب الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الإسلام (← الطبرسي، 1408هـ؛ نفسه، 1379هـ؛ الزمخشري، الآية نفسها). ورد هذا الرأي نفسه في بعض التفاسير شرحاً للآية 15 من سورة الأحزاب (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل...) (الطبرسي، 1408هـ؛ الطباطبائي، تفسير الآية)؛ النكث في الآية 12 من سورة التوبة بمعنى نقض البيعة (← الطباطبائي؛ الزمخشري، تفسير الآية).

استمرّ تقليد البيعة أيضًا بعد وفاة النبي صلى الله وآله وسلم. لكن ما وسّم تلك البيعات اختيار شخص خليفة للنبي وحاكمًا للمسلمين، ومن ثمّ تبايعه مجموعة خاصّة، أو ببايعه الناس جميعًا. ما جرى في السقيفة شكل نقطة البداية في هذا التحوّل، ففي يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام عددٌ من المسلمين، منهم عمرُ بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، وبعض زعماء المهاجرين والأنصار في موضع يُسمّى سقيفة بني ساعدة بمبايعة أبي بكر خليفة للرسول، ثمّ بايعه عددٌ من الناس، وأخذت البيعة من آخرين بالقوّة (← التستري، مج6، ص 288-289؛ المسعودي، مج2، ص 307-309). وعلى هذا النحو جرت في ما بعد البيعة للخليفين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان (رض)، وأصبحت تقليدًا سياسيًا (المسعودي، مج2، ص 312، 340؛ الزحيلي، مج6، ص 689-691). كذلك بعد أن أصرّ الناس على الإمام عليّ عليه السلام، وافق على تولّي زمام الأمور، فبايعه المسلمون في المسجد (ابن شهر آشوب، مج3، ص 195؛ المسعودي، مج2، ص 358؛ الزحيلي، مج6، ص 692؛ الطبري، مج4، ص 427)، وبعد استشهاد عتدوا البيعة للإمام الحسن عليه السلام (ابن شهر آشوب، مج4، ص 28؛ الطبري، مج5، ص 158). من البيعات الأخرى لأئمة الشيعة عليهم السلام، يجدر بنا أن نذكر بيعة عدد كبير من أهل الكوفة لمسلم بن عقيل نيابةً عن الإمام الحسين عليه السلام (المسعودي، مج3، ص 64؛ ابن شهر آشوب، مج4، ص 91)، وكذلك بيعة أهل خراسان للإمام الرضا عليه السلام وليًا لعهد المأمون العباسي (← المجلسي، مج49، ص 144، 146، مج64، ص 184-186؛ الطبري، مج8، ص 554).

من الجدير ذكره أنّ الأحاديث لا سيّما الأحاديث الشيعيّة، قد تطرقت بالتفصيل إلى هذه البيعات، بحيث أنّ بعض المجاميع الحديثية قد أفردت أبوابًا خاصّة لموضوع البيعة، وتتضمّن هذه الأحاديث أحيانًا مباحث كلاميّة (على سبيل الأنموذج ← البخاريّ الجعفي، مج8، ص 122-126؛ المجلسي، مج20، ص 317 وما بعدها، مج27، ص 67-73، مج29، ص 3-66، 91-97، مج30، ص 443-470، مج32، ص 5-148). فضلًا عن ذلك، وردت أحاديث أخرى حول البيعة، منها ما يتعلّق بحريّة نقض البيعة (← تنمّة المقالة)، وبعضها الآخر عدّ لمس الحجر الأسود بمنزلة بيعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الحرّ العاملي، مج9، ص 406).

أنواع البيعة. يتبيّن من المعنى اللغويّ للبيعة أنّها كانت تتمّ بالمصافحة أو الضغط باليد اليمنى؛ وكما ذكر اللغويّون، كانت هذه الطريقة متداولة أيضًا في القسّم (الحلف) والتعاقد، وقالوا إنّ ذلك كان سبب تسمية القسّم باسم "اليمين" (← اليمين*)؛ كما كان سبب تسمية البيعة باسم "الصّفقة" (المجلسي، مج2، ص 266، مج27، ص 68؛ ← ابن منظور؛ الفراهيدي؛ الفيومي، م. ن، ص. ن). وُصفت بيعة الرجال في سيرة الرسول الأكرم على هذا النحو أيضًا (المجلسي، مج20، ص 367، مج37، ص 133، مج65، ص 392، 395؛ نهج البلاغة، الخطب 8، 137، 170، 229). عدّ بعض المفسّرين عبارة "يد الله فوق أيديهم" في الآية 10 من سورة الفتح إشارةً إلى تحقّق البيعة بالمصافحة (الطباطبائي، تفسير الآية). مع ذلك كله وردت في

الأحاديث أنواع أخرى من البيعة (للاطلاع على هذه الأشكال من البيعة، من بين المصادر ← المجلسي، مج49، ص144، 146، مج64، ص184-186). كما أن البيعة تتم أحياناً بإعلان البائع رضاه، ومن دون المصافحة (شهيد، ص127؛ عبد المجيد، ص23-24). تمت بيعة النساء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على نحو آخر؛ فقد جاء في بعض الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وضع يده في أول الأمر في وعاء فيه ماء، وفعلت النساء مثله (← الطبري، مج3، ص62؛ المجلسي، مج21، ص99، 113، 117، 134، مج64، ص184، 187، 188). ورد في آيات أخرى أن المصافحة في بيعة النساء تمت بأيدي غطتها الأثواب (← الطبرسي، 1408هـ؛ الزمخشري، سورة الممتحنة: 12). أوردت بعض الأحاديث كذلك أن بيعة النساء للنبي اقتصر على المبايعة الكلامية واللفظية (الطبرسي؛ الطبري، م. ن، ص. ن؛ الكتاني، مج1، ص222؛ البخاري الجعفي، مج8، ص125، باب بيعة النساء). فضلاً عن ذلك، ذكر في بعض الأحاديث أيضاً أشكال أخرى لبيعة النساء (المفيد، ص63). يقول القاسمي (مج1، ص277-278): إننا إذا استثنينا المرات المعدودة التي بايعت النساء فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنها بيعة العقبة الثانية، وبيعة الرضوان، وفتح مكة (الطبري، مج2، ص361-366، 632-633، مج3، ص61-62). لا وجود لأي رواية تحكي عن بيعة النساء في عهود الخلفاء والحكام، ويبدو أن البيعة في ما بعد قد اقتصر على الرجال.

في تصنيف عام للبيعات التي عقدها النبي يرى ابن شهر آشوب (مج2، ص21) أنها نوعان: البيعة الخاصة والبيعة العامة. الخاصة لمجموعة معينة مثل بيعة الأنصار في العقبة، وبيعة العشيرة؛ أما البيعة العامة فللعوم كبيعة الشجرة (أيضاً ← فاكراً المبيدي، ص183-186).

كان للبيعة كما جاء في المصادر الحديثية والتاريخية صيغة تتص على موضوعها، ينطق بها المباع عادةً (على سبيل الأنموذج ← المجلسي، مج19، ص26، مج21، ص98، 113، ومج65، ص392-393، 395). كانت البيعة أحياناً مشروطة على نحو ما، أي تتضمن تعهداً لمصلحة المباع. وأحياناً كان الموضوع الأساسي للبيعة يُعبر عنه بالشرط (الكتاني، م. ن، ص. ن). يبدو أن بيعة العشيرة، هي البيعة الوحيدة في سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، التي كانت مشروطة، إذ اشترط فيها خلافة المباع ووصيته (ابن شهر آشوب، مج2، ص25؛ الطبري، مج2، ص321). يلاحظ في بيعة بعض الخلفاء أحياناً شروط، منها شرط العمل بكتاب الله وسنة نبيه (القاسمي، مج1، ص274؛ الزحيلي، مج6، ص691؛ البخاري الجعفي، مج8، ص122).

كانت البيعة تُعقد أحياناً بواسطة وكيل المباع أو نائبه، من ذلك بيعة النساء الإمام علي عليه السلام نيابة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديثية (المفيد، م. ن، ص. ن)، وبيعة أهل الكوفة مسلماً بن عقيل نيابة عن الإمام الحسين عليه السلام (المسعودي، مج3، ص64؛ المجلسي، مج44، ص335-336)، وكذلك بيعة الرسول الأكرم نيابة عن عثمان في الحديثية، وكان صلى الله عليه وآله

وسلم هو الطرف الآخر في تلك البيعة (← المجلسي، مج2، ص 367؛ القاسمي، مج1، ص 289). طرحت كذلك بعد اتساع رقعة البلدان الخاضعة لسلطة الدولة الإسلامية، ورواج تقليد أخذ البيعة للخلفاء قضيةً ببيعة أهالي البلدان الخاضعة للحكومة المركزية (= الأقاليم)؛ فقد كان أهالي تلك الأقاليم أو الولايات يُبايعون عادةً الحاكم المحلي نيابةً عن الخليفة (القاسمي، مج1، ص 289-290؛ شهيدي، م.ن، ص.ن).

استمرت عادة البيعة للخليفة في العصرين الأموي والعباسي، إنما لحقتها تغييرات في الشكل والمضمون. على الرغم مما صاحب أخذ البيعة من إكراه أحياناً في عهد الخلفاء الأوائل، بدأ منذ استلام معاوية للحكم تغيير في عناصر البيعة شكلاً ومضموناً؛ ويعتقد عددٌ كبير من كتّاب أهل السنة أن معاوية كان يلجأ إلى مختلف الأساليب التي تساعد على تدعيم خلافته، وتثبيت سلطة عائلته، وأخذ البيعة لنفسه ولابنه يزيد، كاستغلال السلطة والنفوذ، والتهديد والوعيد، والوعود والإغراءات المختلفة، كالإغراء بالحكم، وبث الخلاف والفرقة بين الناس، وحبك المؤامرات (← القاسمي، مج1، ص 281-287؛ عبد المجيد، ص 60-61). بالتدريج خالط الإكراه والإجبار ماهية البيعة، وما طرح في الواقع كان أخذ البيعة وليس المبايعة الحرة، أو النابعة من إرادة المبايع ومشيبته (الكتّاني، مج1، ص 223؛ المسعودي، مج3، ص 79: "وبايع الناس على أنهم عبيدٌ ليزيد")؛ كذلك فإن يزيد أمر عامله على المدينة، الوليد بن عتبة، أن يقبض على الحسين عليه السلام وعبيد الله بن الزبير وبضعة أشخاص آخرين ليُبايعوا، أو يرسل إليه رأس من يرفض (الطبري، مج5، ص 338). لقد نحت البيعة في هذا العصر منحىً تشريفيًا كمالياً؛ وجرت العادة أيضاً أن تؤخذ البيعة للخليفة الجديد في بداية حكمه تعبيراً عن الطاعة والإخلاص له (على سبيل الأنموذج ← الطبري، مج7، ص 311 ، 471، مج6، ص 423)، وكانت البيعة تؤخذ أيضاً في حياة الخليفة لوليّ عهده، أو لأولياء عهده (م.ن، مج7، ص 295، مج5، ص 301، مج6، ص 531-532؛ المسعودي، مج4، ص 210-211). وكثيراً ما كانت البيعة تؤخذ للخليفة في بداية حكمه مقابل الكثير من الوعود والأعطيات، فقد بلغت نفقات بيعة المقتدر العباسي ثلاثة ملايين دينار. فضلاً عن ذلك، كان الخليفة بعد أن يستقر حكمه يوزع مقابل البيعة مبالغ من المال للجند باسم "رزق البيعة" (← القاسمي، مج1، ص 286). ويبدو أن الراغب الإصفهاني (مادة "بيع") فسّر البيعة من خلال هذا المفهوم حين قال إنها "بذل الطاعة مقابل القليل من العطاء". وردت أخبار البيعة المختصة بالقادة العسكريين وبجند الخليفة في العصر العباسي منذ عهد المنصور والمهدي وعيسى (القاسمي، مج1، ص 290-291). كان الخليفة نفسه أحياناً هو الذي ينقض البيعة المأخوذة لوليّ عهده، ويُعيّن آخر مكانه ولياً للعهد (← الطبري، مج8، ص 9). شكلياً أيضاً طرأت تغييرات على البيعة. فعلى الرغم من أن تقليد المصافحة بالأيدي قد ظل معمولاً به لمدة طويلة، كانت البيعة في العصر الأموي تتضمن "الاستحلاف" على العهد، وقد أقرّ الحجاج أيماناً خاصة سماها

"أيمان البيعة"، كانت تُقرَّر في أثناء المُبايعة وتتضمَّن عددًا من عبارات القَسَم (ابن قدامة، مج 11، ص 330؛ ابن خلدون، ص 209؛ الكتاني، م. ن، ص. ن). يقول ابن خلدون (م. ن، ص. ن): "أما البيعة المشهودة لذلك فهي تحية الملوك الكسروية من تقبيل الأرض أو اليد أو الرجل، أو الذليل، أطلق عليها اسم البيعة التي هي العهد مجازًا، لما كان هذا الخضوع في التحية والتزام الآداب من لوازم الطاعة وتوابعها، وغلب فيه حتى صارت حقيقة عرفية، واستغنى بها عن مصافحة أيدي الناس التي هي الحقيقة في الأصل، كما في المصافحة لكل أحد من التنزل والابتدال المُنافيين للرئاسة وصون المنصب الملوكي إلا في الأقل، ممَّن يقصد التواضع من الملوك فيأخذ به نفسه مع خواصه ومشاهير أهل الدين من رعيته" (الكتاني، م. ن، ص. ن)، إذا يرى ابن خلدون (م. ن، ص. ن)، أن هذا العمل الذي كان على ما يبدو عرفاً في عصره، سُمِّي باسم البيعة مجازاً. يحكي الكتاني (م. ن، ص. ن) عن نوع من البيعة المكتوبة التي كانت متداولة في عصره، كان المُبايع فيها يكتب نصًّا يُضمِّنه الإقرار بسلطة الحاكم، أو يُدرج اعترافه في نصٍّ عليه شهود. تدلُّ النصوص التاريخية (السيوطي، ص 26، الفائدة 20؛ القاسمي، مج 1، ص 291-292) أن بيعة الخلفاء والحكام كانت تتضمَّن مراسم واحتفالات خاصة تختلف باختلاف البلدان، من بين التقاليد التي راجت على ما يبدو منذ بداية العصر الأموي، تقليد "تجديد البيعة"، أي أن الخليفة كان يأخذ البيعة مجدداً لنفسه، أو لوليِّ عهده، ترسيخاً لإخلاص الناس وإطاعتهم (د. الإسلامية، الطبعة الثانية، مادة "بيع").

يرى شهيد (م. ن، ص. ن) أن تقليد البيعة راج في جميع الحكومات التي حملت دعوة الخلافة الإسلامية، كالخوارج والفاطميين، وأمويي الأندلس، وحتى العثمانيين، وظلت متداولة في إيران طيلة المدّة التي كانت خاضعة فيها لحكومات تابعة للخلافة الإسلامية؛ ويبدو أنها انقرضت بعد انهيار الخلافة العباسية. بالإضافة إلى الحكومات، كانت تقليد البيعة موجوداً أيضاً لدى أعداء الخلفاء والمعارضين لهم، كبيعة أهل العراق لعبد الله بن الزبير (المسعودي، مج 3، ص 83)؛ البيعة لزيد بن علي بن الحسين من أصحابه (الطبري، مج 7، ص 167، 171)؛ بيعة جماعة من الناس لمحمد بن عبد الله النفس الزكية في أواخر العصر الأموي، وفي عهد المنصور (المسعودي، مج 3، ص 294، 306)؛ البيعة التي أخذها أبو مسلم من أهل خراسان لإبراهيم الإمام (الطبري، مج 7، ص 379-380).

المباحث الكلامية والفقهية. اتخذت لفظة البيعة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مفهوماً وطابعاً سياسيين، حتى أن البعض من أهل السنة يقررون أنها تحولت بعد بيعة السقيفة إلى مصطلح سياسي (القاسمي، مج 1، ص 257 - 258). على الرغم من أن مصادر أهل السنة الكلامية والفقهية عدّدت آثاراً مهمة لمبايعة الحاكم، قليلاً ما أخضعت ماهية البيعة للبحث والتحليل.

في المصادر الفقهية المتأخرة لدى أهل السنة والشيعة على حدّ سواء، ظهرت آراء مختلفة حول ماهية الحقوقية للبيعة. كثيرٌ منها عدّ البيعة انطلاقةً

من معناها اللغوي، ولشبهها بعقد البيع، عقدًا يتضمّن تعهدًا من طرفين، وبالمصطلح الفقهيّ عقد معاوضة، أي أنّ المّبائع يتعهد في عقد البيعة بأمرٍ مثل اتّباع المّبائع وإطاعته، والالتزام بأوامره، والإخلاص له، ويتعهد المّبائع له، أنّ يحكم بالكتاب والسنة، وأنّ يحمي المّبائع، ويدير شؤونه بأمانة وإخلاص، وغير ذلك من الأمور (مكارم الشيرازي، مج1، ص 517؛ السبحاني، 1985م، ص 260؛ نفسه، 1412هـ، مج4، ص 62؛ منتظري، مج1، ص 523؛ بغا، ص 263؛ القاسمي، مج1، ص 273-274؛ عبد المجيد، ص 18؛ الزحيلي، مج6، ص 683-684). يرى بعض العلماء أنّ معنى البيعة كما ورد في الآية 10 من سورة الفتح، هو بيع الأرواح والأنفس ابتغاء الجنة (ابن شهر آشوب، مج2، ص 22؛ الطبرسي، 1408هـ، تفسير الآية).

إنّ التأمل في البيعات التي عُقدت في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يؤكّد الماهية العقدية للبيعة، كما يدل من ناحية أخرى على أنّها جميعًا كانت بموجب عقد البيعة تضع على عاتق المّبائع تعهدًا خالصًا بالالتزام بالإسلام، وبنصرة النبي، وطاعته، وجهاد الكفار، وما أشبه، ولم تضع في المقابل أيّ تعهد على عاتق النبي. علمًا أنّ أحد الأحاديث قد تطرّق للكلام على الحقوق المتقابلة للمّبائع والمّبائع (المجلسي، مج19، ص 26)، والمُراد بحقوق المّبائع استنادًا إلى هذا الحديث نفسه، وإلى الآيات القرآنية النصر والثواب الإلهيَّان، اللذان هما في الواقع نتيجة وثمرّة لعمل المّبائعين، بناءً على مفاد تعهدهم، وليس عوضًا عن الاتفاقية في عقد البيعة. في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة (الخطبة 34)، ذكر أيضًا العمل بالبيعة فقط في عداد حقوق الحاكم على الناس. والظاهر أنّ عددًا كبيرًا من المحقّقين قد عدّوا على أساس هذا التحليل نفسه البيعة "عهدًا على الطاعة" أو "بذل الطاعة" (ابن خلدون، م. ن، ص. ن؛ الكتّاني، مج1، ص 222؛ سبحاني، 1985م، ص 261؛ معرفت، ص 82؛ أصفي، ص 80؛ 86؛ مكارم الشيرازي، مج1، ص 519؛ الشهرستاني، ص 155؛ الطباطبائي، مادة الفتح: 10؛ الراغب الإصفهاني، م. ن، ص. ن)؛ وقال البعض إنّ البيعة عقدٌ غير معوّض، ويُشبهه عقد الهبة (عبد المجيد، ص 22)، حتى أنّ البعض عدّها من مقولة الإيقاع (مكارم الشيرازي، مج1، ص 517). يرى بعض المؤلّفين أنّ البيعة تتضمّن تعهدًا أحاديّ الجانب (← القاسمي، مج1، ص 276). الجدير قوله إنّ الحديث قد تطرّق أكثر من مرّة في أقوال عليّ عليه السلام عن حقوق الناس على الحاكم، وعن أهميّة تلك الحقوق (← الخطبتان 34، 216 والرسائل 26، 45، 53)؛ لكن لا يمكن عدّ هذه الحقوق ناجمة عن البيعة.

تتضمّن البيعة بناءً على ماهيتها العقدية ثلاثة أركان أساسية: المّبائع والمّبائع له، وموضوع البيعة. وبموجب ماهيتها العقدية، يجب أنّ يتحلّى الطرفان، بناءً على الرأي الفقهيّ، بالشروط اللازمة مثل البلوغ، والرشد والعقل (الأصفي، ص 85؛ البخاريّ الجعفي، مج8، ص 124، باب بيعة الصغير). لقد أجازت بعض أحاديث أهل السنة بيعة الصغير (← الكتّاني، م. ن، ص. ن). كما اشترط في بعض الأحاديث استطاعة المّبائع (البخاريّ الجعفي، مج8، ص 122؛ الأصفي، م. ن، ص. ن). من

ضمن الشروط التي جرى التأكيد عليها في المصادر الفقهيّة، الإرادة وعدم الإكراه، بالنسبة إلى الطرفين كليهما (عبد المجيد، ص 133-138؛ القاسمي، مج1، ص 275؛ الشهرستاني، ص 157؛ الأصفى، ص 86). عدت مصادر أهل السنة البيعة المصحوبة بالإجبار أو الإكراه فاسدة شرعاً، وفي الوقت عينه، عدت قانونية ونافاذة إن توافرت فيها الشروط (عبد المجيد، ص 139-140).

إن موضوع عقد البيعة هو المسألة الأساسية التي يدور حولها الخلاف بين الشيعة وأهل السنة. بعد أن حدث ما حدث في السقيفة، وجرت للمرة الأولى المبايعة على الخلافة وقيادة الأمة، تصدى متكلمو أهل السنة في العصور اللاحقة، لتوضيح المباني والأسس الكلامية للحادثة المذكورة. من هنا، طرحت مصادرهم الكلامية نظرية مفادها أن الإمامة يمكن أن تحصل بناء على إرادة الناس واختيارهم، وذلك بواسطة البيعة، أو أن البيعة هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق الإمامة لشخص من الأشخاص (الباقلاني، ص 178؛ البغدادي، ص 279). تطرق بعد ذلك كتاب الفقه السياسي من أهل السنة كالماوردي وأبي يعلى الفراء نظراً لاعتقادهم بأن الإمامة فرع من فروع الدين بدلاً من الأصول (بهذا الصدد ← سبحاني، 1412هـ، مج4، ص 9-12)، إلى البحث في مؤلفاتهم في شروط البيعة وآثارها الحقوقية على أساس هذه النظرية الكلامية (← الماوردي، ص 7 وما بعدها؛ عبد المجيد، ص 21-22، 73 وما بعدها).

عدّ عددٌ كبير من فقهاء أهل السنة بيعة المجموعة المسماة "أهل الحل والربط"* موجباً لانعقاد الخلافة (حول التسميات الأخرى لهذه المجموعة مثل: أهل الاختيار، وأهل الاجتهاد، وغير ذلك من التعريفات المختلفة ← الزحيلي، مج6، ص 685-686؛ الماوردي، ص 31-33؛ عبد المجيد، ص 91-101؛ القاسمي، مج1، ص 266-270). رأى البعض ومن بينهم الأشعري، أن الحد الأدنى من عدد المبايعين اللازم لتحقيق الإمامة رجل واحد، والبعض قال: اثنان، وجماعة قالت ثلاثة، وأخرى خمسة، وآخرون قالوا: أربعون. رأى البعض من دون تحديد عدد معين ضرورة مبايعة أكثرية "أهل الحل والربط"، ورأى آخرون ضرورة مبايعتهم كلهم، أو ما يُسمى بالإجماع (← الزحيلي، مج6، ص 685-687؛ الماوردي، ص 33-34؛ عبد المجيد، ص 91، 93؛ القاسمي، مج1، ص 267-269؛ أيضاً حول نقد هذا الرأي ← الباقلائي، م. ن، ص. ن). يرى بعض أهل السنة على نحو مبهم أن بيعة مجموعة من أهل الحل والربط كافية (القاسمي، مج1، ص 268؛ الزحيلي، مج6، ص 687). يرى بعض فقهاء أهل السنة أن انعقاد الخلافة غير ممكن إلا بالبيعة (← الماوردي، ص 33-35؛ عبد المجيد، ص 74-78؛ البغدادي، م. ن، ص. ن؛ الزحيلي، مج6، ص 683-684). عدّ عددٌ من الفقهاء المتأخرين والمعاصرين، فضلاً عن البيعة المذكورة، بيعة عامة الناس ركناً أصلياً لثبوت الخلافة، والبيعة تتم على ثلاث مراحل: ترشيح شخص للخلافة، فالبيعة الخاصة أو الصغرى، ثم البيعة العامة أو الكبرى (الزحيلي، مج6، ص 687، 692؛ عبد المجيد، ص 73-105؛ القاسمي، مج1، ص 259-260). شرح الماوردي مقدمات البيعة ومرآتها بالكثير من التفصيل (ص 33-37؛ حول هذا الموضوع، وكذلك حول شروط المبايعين والمبايعين، وشروط

صحة البيعة، بمنظار فقه أهل السنة ← عبد المجيد، ص 142-148، 308-311). كذلك جرى البحث في المصادر حول آثار البيعة لشخصين في الوقت نفسه (← الماوردي، ص 37-38؛ الأصفى، ص 108-113).

بالمَنظار الشيعي من غير الممكن عقد البيعة لكل أمر من الأمور، وعلى فرض أننا نعد البيعة عقداً، يجب أن يكون موضوع عقد البيعة مشروعاً وجائزاً. فعلى سبيل المثال، يرى متكلمو الشيعة مسألة الإمامة وخلافة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، من الموضوعات التي لا يمكن أن تثبت من خلال بيعة مجموعة من الناس، أو الناس كلهم، وإنما من خلال الأدلة العقلية والنقلية العديدة، يجب أن يكون الإمام منصوصاً عليه (المظفر، مج2، ص 25-32؛ سبحاني، 1412هـ، مج4، ص 26-45). يرى فقهاء الشيعة أنه على الرغم من أن العمل بعقد البيعة ملزمٌ استناداً إلى أدلة لزوم الوفاء بالعقد أو الشرط مثل "أوفوا بالعقود" (المائدة: 1) (سبحاني، 1985م، ص 262-263؛ مكارم الشيرازي، م.ن، ص.ن؛ الحائري، 1414هـ، ص 201-202)، لكن هذه الأدلة نفسها، لا يمكن أن تهب موضوع العقد المشروعية، وإنما تدل فقط على لزوم الوفاء بشروط العقود المشروعة (الحائري، 1399هـ، ص 164؛ الموسوي الخالقي، ص 580؛ الشهرستاني، م.ن، ص.ن).

يرى علماء الشيعة كذلك، أن ماهية البيعة في زمن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، مع الأخذ في الاعتبار معنى اللفظة اللغوي، ونظراً لوجوب طاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالأدلة العقلية والنقلية، لم تكن إنشائية، بل كان لها منحي توكيدي فقط، وكان الهدف من عقدها التأكيد العملي للإيمان بالنبي، والتعهد بمستلزمات الإيمان، وبتعبير البعض "إيجاد دافع جديد لنصرة النبي وطاعته"، إذاً، لا يستند أصل مشروعية النبي الأكرم، وثبوت مقام ولايته، وحتى وجوب اتباعه إلى البيعة (← سبحاني، 1985م، ص 261-263؛ نفسه، 1412هـ، مج4، ص 63؛ مكارم الشيرازي، مج1، ص 518-519؛ علم الهدى، مج2، ص 150؛ منتظري، مج1، ص 526؛ الحائري، 1414هـ، ص 200؛ نفسه، 1399هـ، ص 173-174؛ أصفى، ص 89-90؛ الموسوي الخالقي، ص 555، 579)، كما أن الجانب التوكيدي للبيعة، كثيراً ما يُشاهد في البيعات التي عُقدت للخلفاء، لا سيما في الحالات التي انعقدت فيها الخلافة، بناءً على وصية الخليفة السابق، وتعيينه لخلفه، كخلافة عمر بن الخطاب (رض)، وخلافة عثمان بن عفان (رض) (وحتى حول خلافة أبي بكر (رض) ← سبحاني، 1985م، ص 263؛ الحائري، 1414هـ، ص 209). يرى فقهاء الشيعة (سبحاني، م.ن، ص.ن)، أن نظرية أهل السنة هذه، إما أنها مستمدة من تقليد البيعة لشيخ القبيلة لدى العرب قبل الإسلام (حول رأي بعض المستشرقين ← عبد المجيد، ص 39)، أو مبنية على ادعاء اختيار جميع أو بعض خلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من طريق البيعة؛ في حين أن أيّاً من الأمرين ليس سنداً يُعتد به.

الإشكالية الأخرى لدى العلماء الشيعة بهذا الصدد وجود الإجماع، أو على الأقل الإكراه في معظم حالات بيعة الناس للخلفاء استناداً إلى الأحداث التاريخية، التي أقر بها حتى بعض أهل السنة (عبد المجيد، ص 138؛ الخطيب، ص 409-412). فهناك الكثير من الأدلة التاريخية والحديثية، التي تثبت أن الإمام

عليّ عليه السلام، وبني هاشم وعدداً من كبار الصحابة لم يُبايعوا أبا بكر (رض) بعد حادثة السقيفة، وقد أكرهوا بعد ذلك على المبايعة (← علم الهدى، مج2، ص 12، 151؛ المسعودي، مج2، ص 307-309؛ المجلسي، مج29، ص 36، 91-93، 95). فضلاً عن ذلك، أحد مؤسسي تلك البيعة وصفها بأنها عمل متسرّع [فلتة وقى الله المؤمنين شرّها] ولا يجوز تكرارها (← الشيوطي، ص 67؛ التستري، مج6، ص 281-287؛ المجلسي، مج30، ص 443-470؛ الشهرستاني، ص 156). في هذا السياق لم تحدث أيّ بيعة حرّة، إلا في خلافة الإمام عليّ عليه السلام، الذي لم يوافق، على الرّغم من إصرار أصحابه، على أخذ البيعة الإجمالية، وعدد الذين لم يُبايعوا، كما تقول المصادر التاريخية، كان محدوداً جداً، ولم يُحرّموا من حقوقهم الاجتماعيّة أو يتعرّض لهم أحد (المسعودي، مج2، ص 361-362؛ التستري، مج6، ص 257، 272-273، 301-305).

ادّعى بعض مؤلّفي أهل السنّة (عماد الدين الكاتب، ص 14-15؛ القاسمي، مج1، ص 262-264)، استناداً إلى الخطب والرسائل الواردة في نهج البلاغة (من ضمنها الخطب 8، 137، 172، 218، والرسائل 1، 6، 7، 54)، حيث جرى الكلام على كون البيعة ملزمة للناس، حتى أولئك الذين لم يُبايعوا، ادّعوا أنّ الإمام عليّ والإمام الحسن عليهما السلام قد وافقا على ثبوت الإمامة بالبيعة (القاسمي، مج1، ص 265). لكنّ المحقّقين الشيعة يرفضون هذا الرأي، لأنّ الإمامة لا تثبت بالبيعة، فضلاً عن أنّ ما يُعدّ من ضرورات علم الكلام الشيعي، ما صرّح به وأكدّه عليّ عليه السلام شخصياً (من ذلك ← نهج البلاغة، الخطب 2، 105، 144، والرسالتان 28، 62، والحكمة 147؛ أيضاً ← التستري، مج6، ص 262، 271، 294-296). إنّ هذه الأحاديث من خلال هذا الدليل وغيره من الأدلّة (← مكارم الشيرازي، مج1، ص 523-525)، في حال كانت صحيحة السند (حول هذا الموضوع ← الحائري، 1414هـ، ص 210)، يجب أنّ تُحمّل على محمّل الجدل والمناظرة، بهدف الإفحام والإقناع (أيضاً ← آصفي، ص 95). من ذلك، أنّ الإمام عليّ عليه السلام، قد أكدّ في الخطبة 172، وهو يشرح امتناع تأسيس الإمامة على رأي العموم، أنّه على افتراض قبول هذا الرأي، فإنّ الأشخاص الذين لم يحضروا مراسم البيعة مُلزمون بقبول رأي المُبايعين. جاء هذا الكلام، في معرض الردّ على اعتراض المخالفين (من بينهم معاوية)، الذي رفض إمامة عليّ عليه السلام بعد مقتل الخليفة الثالث. يعتقد بعض الفقهاء على الرّغم من أنّهم يرون أنّ الأحاديث الآتفة الذكر قد جاءت في معرض الجدل، أنّ هذه التوضيحات تدلّ على ثبوت نوع من الولاية، من خلال التنصيب الإلهي، أو الحصول على نوع من السلطة والمسؤوليّة الشعبيّة بواسطة البيعة (آصفي، م. ن، ص. ن؛ منتظري، مج1، ص 527؛ الحائري، 1414هـ، ص 209-210؛ الموسوي الخليلي، ص 554-555).

سعى الكثيرون من الفقهاء والكتّاب المعاصرين من أهل السنّة، من خلال شرحهم للبيعة، بصفاتها عقد يتضمّن تعهداً من الطرفين (تعاهد)، ومقارنتها بعقد الوكالة، لجعلها معادلةً لنظريّة "العقد الاجتماعيّ" لروسو، الذي يُعدّ من

المبادئ الحقوقية الأساسية في الأنظمة الديمقراطية، وعرضها كنظير للانتخابات واستطلاع الرأي (الزحيلي، مج6، ص 684؛ عبد المجيد، ص 106 وما بعدها؛ القاسمي، ص 273-276؛ عنایت، 1983م، ص 232-233، 236؛ نفسه، 1991م، ص 158). على هذا الأساس تكون بيعة الأكثرية الشعبية للحاكم ملزمة للأقلية (القاسمي، مج1، ص 276). الظاهر أن الشيخ محمد عبده هو أول من طرح هذا الرأي في فقه أهل السنة (عنایت، 1983م، ص 236). لكن هذه النظرية، تعرضت للنقد، حتى من أهل السنة، أولاً لأن ماهية البيعة، لا سيما في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، عقد أحادي التعهد، وليس ثنائي التعهد (كعقد الوكالة)؛ ثانياً ليس بمقدور المبايع، لا بالمنظار الفقهي، ولا عملياً وواقعياً، أن يعزل المبايع له، في حين أن الموكل في عقد الوكالة يملك مثل هذا الحق (مكارم الشيرازي، مج1، ص 517-518؛ معرفت، ص 90؛ الخطيب، ص 275-286)؛ ثالثاً، بحسب الرأي المشهور لدى أهل السنة، تثبت الحاكمية بعد بيعة أهل الحل والربط، لكن في النظام الديمقراطي، هنالك حق لكل فرد من أفراد الشعب. من هنا، فإن لدى الحاكم في هذا النظام مسؤولية تجاه جميع أبناء الشعب، أما في البيعة فهو مسؤول فقط أمام أهل الحل والربط (الخطيب، ص 286-292)؛ رابعاً، لا دليل على أن بيعة الأكثرية ملزمة للأقلية التي لا تباع (← الحائري، 1414هـ، ص 198-213). يعترف عبد المجيد في أثناء مقارنته بين البيعة ونظرية العقد الاجتماعي بوجود فوارق بينهما؛ من ذلك أن أصل مشروعية الدولة في النظام كان أمراً إلهياً، وليس ناجماً عن البيعة، وإنما هو فقط طريقة لإيجاد الحكم الذي يتحقق بالبيعة، وهو مشابه للأنظمة الديمقراطية (ص 347-349). مع ذلك كله، لم يشرح بوضوح الدليل على أن هذه المشروعية إلهية، في الحكومة التي تتشكل بواسطة البيعة.

على الرغم من أن معظم فقهاء الإمامية المعاصرين، لا يقولون إلا بالدور التأكيدي للبيعة في زمن الإمام المعصوم عليه السلام، يرى بعضهم في شرحه لكيفية أعمال ولاية الفقهاء في عصر غيبة الإمام المعصوم، أن للبيعة دوراً أرفع من مجرد التأييد، أي نوع من الجانب الإنشائي التأسيسي. علماً أن بعض الفقهاء، لم يجرؤوا تفكيكاً بين البيعة في زمان حضور المعصوم، وفي زمان الغيبة (← مكارم الشيرازي، مج1، ص 519). فضلاً عن ذلك، يعتقد بعض الفقهاء المعاصرين، بنوع من تحقق الولاية والمشروعية الشعبية للبيعة في عصر الغيبة. وعدد محدود منهم (من بينهم منتظري، مج1، ص 575-576) عدوا البيعة عقد وكالة ملزم، موضوعه إنشاء الولاية، وإعطاء السلطة، وعلى هذا الأساس يرون أن انتخاب الأكثرية وبيعته ملزم ونافذ، حتى على الأقلية التي لا تباع. أخضع تفسير البيعة بأنها عقد وكالة، وكذلك إلزامية مثل هذا العقد للمناقشة والانتقاد (مكارم الشيرازي، مج1، ص 517-518؛ معرفت، م. ن، ص. ن).

من ضمن الأدلة المعتمدة لإثبات حصول الولاية بالبيعة، فضلاً عن الأحاديث المستقلة من نهج البلاغة، هنالك روايات تحذر من نقض البيعة (نكت الصفة ← الكليني، مج1، ص 405؛ المجلسي، مج2، ص 266؛ مج27، ص 67-73؛ مج64، ص

181-188؛ منتظري، مج1، ص 78، 525-529)، وفراق الجماعة (← الكليني؛ المجلسي، م. ن، صص. ن). أحياناً كان يُستند كذلك لإثبات هذه النظرية، وأنَّ بَيْعَةَ الْأَكْثَرِيَّةِ مُلْزِمَةٌ لجميع الناس، على سيرة المعصومين عليهم السلام، وسيرة المسلمين، وسيرة العقلاء (منتظري، ص 574-576؛ أصفي، ص 92-95).

في المقابل ناقش عددٌ من الفقهاء الأدلة المعتمدة، ففي نظرهم نقض بَيْعَةَ حُكَّامِ الْبَاطِلِ وَالْجَوْرِ جَائِزَةٌ حُكْمًا، وَأُمَّةُ الشَّيْعَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- الَّذِينَ طَالَمَا كَانَ أَتْبَاعُكُمْ وَشَيْعَتُهُمْ أَقْلِيَّةً- ما كانوا يحسبون البَيْعَةَ لأَوْلِيَاءِ الْحُكَّامِ صَحِيحَةً. من هنا قال البعض إنهم "جماعة أهل الحق"، وذلك استناداً إلى أحاديثٍ أخرى (← المجلسي، مج2، ص 265-267، مج27، ص 67)، وفسر البعض الآخر هذه الأحاديث، وكذلك الأحاديث المتعلقة بحرمة نكثِ البَيْعَةِ، بأنَّها البَيْعَةُ لِلْإِمَامِ الْمَعْصُومِ، أَوْ الْحَمْلُ عَلَى التَّقِيَّةِ، أَوْ الْأَمْرُ بِالتَّقِيَّةِ، أَوْ حَسْبُهَا نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الْمَجَادَلَةِ (الموسوي الخوالي، ص 580-581؛ الحائري، 1399هـ، ص 166-168؛ نفسه، 1414هـ، ص 211؛ مكارم الشيرازي، مج1، ص 519-524؛ منتظري، مج1، ص 528). ممَّا ذكره الحائري (1414هـ، ص 209-213) أَنَّ الْأَحَادِيثَ الْمَعْتَمَدَةَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ دَالَّةً بِذَاتِهَا عَلَى ثُبُوتِ الْوَلَايَةِ بِالْبَيْعَةِ، لَكِنَّهَا لَا تَسْتَوْجِبُ نَفُوزَ الْبَيْعَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَقْلِيَّةِ الَّتِي لَمْ تُبَايَعْ؛ وَهِيَ فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ مُوثِقَةً، حَتَّى أَنْ يَحْتَمَلَ كَوْنَ بَعْضِهَا مَوْضُوعًا لِاحْتِمَالٍ قَوِيٍّ. كَذَلِكَ فَإِنَّ الْاِسْتِدْلَالَ بِأَدَلَّةٍ وَجُوبِ الْوَفَاءِ بِالْعَقْدِ وَالشَّرْطِ (← منتظري، مج1، ص 522؛ معرفت، ص 86) قَدْ انْتَقَدَ مِنْ بَعْضِ النَّوَاحِي (← الحائري، 1399هـ، ص 164-165؛ نفسه، 1414هـ، ص 202-203؛ الموسوي الخوالي، ص 580).

فضلاً عن ذلك، نوقش موضوع الاستناد إلى سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالْأُمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَكَذَلِكَ سِيرَةِ الْمُسْلِمِينَ، لِإِثْبَاتِ دَلَالَةِ الْبَيْعَةِ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ الْاِبْتِخَابَاتِ، وَتَحَقُّقِ الْوَلَايَةِ الْحَاكِمِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَامَّةِ النَّاسِ (← الحائري، 1414هـ، ص 199-209). يرى منتقدو النظرية المذكورة، أَنَّ الْبَيْعَةَ لَا تَتِيحُ سِوَى إِمْكَانِيَّةِ إِعْمَالِ الْوَلَايَةِ لِلْوَلِيِّ الْفَقِيهِ، وَوَضْعِهَا مَوْضِعَ التَّنْفِيزِ، لَكِنَّ أَسَاسَ مَشْرُوعِيَّةِ وَوَلَايَتِهِ إِلَهِيَّةً، وَمُقَرَّرَةً مِنَ الشَّارِعِ (نفسه، 1399هـ، ص 173؛ الموسوي الخوالي، ص 579-581). يرى بعض هؤلاء الفقهاء (معرفت، ص 92-93)، أَنَّ مَجْرَدَ اِبْتِخَابِ الشَّعْبِ فِي نِطَاقِ الْفُقَهَاءِ- الَّذِي هُوَ فِي اِعْتِقَادِ الْبَعْضِ (أصفي، ص 92-93) مُوجِبٌ لِعَقْدِ الْوَلَايَةِ لِلْفَقِيهِ، أَوْ الْبَيْعَةِ- لَا يَتَنَافَى وَكَوْنُ تَنْصِيبِ الْفَقِيهِ إِلَهِيًّا؛ فَالْفَقِيهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِيُنتَخَبْ عَلَى أَسَاسِ النَّصِّ الْإِلَهِيِّ، لَكِنَّ اِبْتِخَابَهُ يَتِمُّ بِنَاءٍ عَلَى الْأَوْصَافِ وَالشَّرْطِ الْلازِمَةِ لِلْفَقِيهِ الْحَاكِمِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّارِعُ، وَاتَّخَذَ الْأَمْرُ شَكْلًا مِنْ أَشْكَالِ التَّنْصِيبِ.

المصادر والمراجع: فضلاً عن القرآن؛ محمد مهدي أصفي، ولاية الأمر، طهران 1416هـ/1995م؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ط. طاهر أحمد الزاوي ومحمود أحمد الطناحي، القاهرة 1383-1385هـ/1963-1965م؛ ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول من كتاب العبر وديوان

المبتدأ والخبر، بيروت 1391هـ/1971م؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ط. هاشم رسولي المحلاتي، قم [1379هـ]؛ ابن قدامة، المغني، بيروت 1403هـ/1983م؛ ابن منظور، لسان العرب، قم 1363ش [1984م]؛ محمد بن الطيب الباقلاني، التمهيد في الرد على الملجدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، ط. محمود الخضيرى ومحمد عبد الهادي أبو ريذة، القاهرة 1366هـ/1967م؛ محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، اسطنبول 1401هـ/1981م؛ مصطفى بغا، بحوث في نظام الإسلام، دمشق 1403هـ/1983م؛ عبد القاهر بن طاهر البغدادي، كتاب أصول الدين، اسطنبول 1346هـ/1928م، ط. أوفست بيروت 1401هـ/1981م؛ محمد تقي التستري، بهج الصبغة في شرح نهج البلاغة، طهران [لا تا.]؛ كاظم الحائري، أساس الحكومة الإسلامية: دراسة إستدلالية مقارنة بين الديمقراطية والشورى وولاية الفقيه، بيروت 1399هـ/1979م؛ نفسه، ولاية الأمر في عصر الغيبة، قم 1414هـ؛ محمد بن الحسن الحرّ العاملي، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ط. عبد الرحيم ربّاني الشيرازي، بيروت 1403هـ/1983م؛ عبد الكريم الخطيب، الخلافة والإمامة، بيروت 1395هـ/1975م؛ حسين بن محمد الراغب الإصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ط. صفوان عدنان الداودي، دمشق 1412هـ/1992م؛ وهبة مصطفى الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دمشق 1404هـ/1984م؛ محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن غوامض حقائق التنزيل، بيروت [لا تا.]؛ جعفر سبحاني، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، بقلم حسن محمد مكّي العاملي، مج4، قم 1412هـ؛ نفسه، مفاهيم القرآن في معالم الحكومة الإسلامية، قم 1364ش [1985م]؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، ط. محمد محيي عبد الحميد، مصر 1378هـ/1959م؛ محمد علي الشهرستاني، مدخل إلى علم الفقه، لندن 1416هـ/1996م؛ جعفر شهيدي، "البيعة وكيفيةها في التاريخ الإسلامي"، كيهان انديشه [مجلة كيهان الفكرية]، العدد 26 (مهر وأبان 1368ش [ت1 و ت2 1989م])؛ محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، بيروت 1390-1394هـ/1971-1974م؛ فضل بن الحسن الطبرسي، جوامع الجامع في تفسير القرآن المجيد، تبريز 1379هـ؛ نفسه، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط. هاشم رسولي المحلاتي وفضل الله يزدي الطباطبائي، بيروت 1408هـ/1988م؛ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ط. محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت [1382-1387هـ/1962-1967م]؛ أحمد فؤاد عبد الجواد عبد المجيد، البيعة عند مفكري أهل السنة والعقد الاجتماعي في الفكر السياسي الحديث: دراسة مقارنة في الفلسفة السياسية، القاهرة 1998م؛ علي بن الحسين علم الهدى، الشافي في الإمامة، مج2، طهران 1410هـ؛ علي بن أبي طالب (ع)، الإمام الأول، نهج البلاغة، ط. صبحي الصالح، بيروت [تاريخ المقدمة 1387هـ]؛ ط. أوفست قم [لا تا.]؛ حميد عنایت، انديشه سياسي در اسلام معاصر

[الفكر السياسي في الإسلام المعاصر]، ترجمه بالفارسيّة بهاء الدين خرمشاهي، طهران 1362ش [1983م]؛ نفسه، سیری در اندیشهء سیاسی عرب [رحلة في الفكر السياسي العربي]، طهران 1370ش [1991م]؛ محمد فاکر میبدي، "البیعة ودورها في الدولة الإسلامیة"، حکومت اسلامی مجلة [الدولة الإسلامیة]، السنة 2، العدد 3 (خريف 1376هـ)؛ خليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ط. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، قم 1405هـ؛ أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، بيروت [لا تا.]؛ ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامی، مج 1، بيروت 1405هـ/1985م؛ محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج 9، ج 18، القاهرة 1387هـ/1967م؛ ط. أوفست طهران 1364ش [1985م]؛ أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي، لندن 1997م؛ محمد بن الحّي بن عبد الكبير الكتاني، نظام الحكومة النبویة المسمی التراتيب الإداریة، بيروت [لا تا.]؛ محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ط. علي أكبر الغفاري، بيروت 1401هـ؛ علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينیة، بيروت 1410هـ/1990م؛ محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، بحار الأنوار، بيروت 1403هـ/1983م، مج 29-30، ط. عبد الزهراء علویة، بيروت [لا تا.]؛ علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط. محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر 1384-1385هـ/1964-1965م؛ محمد حسن المظفر، دلائل الصدق، بيروت [لا تا.]؛ محمد هادي معرفت، ولايت فقيه [ولاية الفقيه]، قم 1377ش [1998م]؛ لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، بيروت 1973-1982م؛ ط. أوفست طهران 1362ش [1983م]؛ محمد بن محمد المفيد، الإرشاد، قم [لا تا.]؛ ناصر مكارم الشيرازي، أنوار الفقاهاة: كتاب البيع، ج 1، قم 1411هـ؛ حسينعلي منتظري، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامیة، قم 1409-1411هـ؛ محمد مهدي الموسوي الخلخالي، حاكميت در اسلام [الحاكمیة في الإسلام]، طهران 1361ش [1982م]؛

(EI² ; s.v. "Bay'a" (by E. Tyan).

/السید رضا الهاشمي/

بَيْعَةُ الرضوان، اسم بَيْعَةَ جماعة من الصحابة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والمعروفة أيضاً باسم البَيْعَةَ تحت الشجرة.

في السنة السادسة للهجرة، خرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من المدينة، ترافقه مجموعة من أصحابه، لا يحملون سوى السيوف في أعمادها، يتراوح عددهم من ألف وأربعمائة إلى ألف وستمائة، لزيارة بيت الله الحرام وأداء مناسك العمرة (ابن سعد، مج2، ص 95؛ الطبري، مج2، ص 620-621؛ أبو الفتوح الرازي، مج17، ص 337)، حين وصلوا إلى الحُدَيْبِيَّة، قرية على بعد منزلة من مكة وتسع منازل من المدينة (ياقوت الحَمَوِي، مج2، ص 222)، قطع عليهم المكيّون الطريق، ومنعواهم من متابعة السير إلى مكة. أوفد النبي أَوْلَ الأمر إلى مكة رجلاً يُسَمَّى خراش، أركبه ناقته، ليقول لزعمائها إن المسلمين لم يأتوا محاربين، وإنما يريدون زيارة بيت الله الحرام، ثم يعودون؛ لكن المكيّين تعقبوا ناقه النبي، وكان هدفهم قتل خراش، فحال بعضهم دون ذلك، وعاد خراش فأرسل إليهم النبي عثمان بن عفان (رض)، ولما تأخرت عودته، أشيع أن المكيّين قد قتلوه. فجمع الرسول أصحابه، وبايعه هؤلاء على أرواحهم. انعقدت هذه البَيْعَةَ تحت شجرة (شجرة سُمرَة). عرف المسلمون بعد ذلك أن عثمان لم يُقتل، ومن ناحية أخرى، صالح مبعوثو مكة النبي في الحُدَيْبِيَّة، وكان القرار أن يعود هذا العام إلى المدينة، ويزور مكة في العام الذي يليه (← الحُدَيْبِيَّة * صلح؛ ابن سعد، مج2، ص 95-97؛ ابن هشام، مج2، ص 781-782؛ الطبري، مج2، ص 631-632؛ حسن إبراهيم حسن، مج1، ص 127؛ أبو الفتوح الرازي، مج17، ص 336-337).

ذكرت هذه الحادثة في القرآن في الآية 18 من سورة الفتح، ومن هذه الآية استمدَّ الاسم بَيْعَةَ الرضوان وبَيْعَةَ الشجرة: **لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**. اشتهر المبايعون بعد ذلك بأصحاب الشجرة. هنالك مسجد كان قائماً في

الموضع الذي عُقدت فيه هذه البَيْعَةَ (ابن سعد، مج2، ص 99-101).

المصادر والمراجع: فضلاً عن القرآن؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت 1405هـ/1985م؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ط. سهيل زكار، بيروت 1412هـ/1992م؛ حسين بن عليّ أبو الفتوح الرازي، روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن، ط. محمد جعفر ياحقي ومحمد مهدي ناصح، مشهد 1365-1375ش [1986-1996م]؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام: السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مج1، القاهرة 1964م، ط. أوفست بيروت [لا تا.]. محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ط. محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت [1382-1387هـ/1962-1967م]؛ ياقوت الحَمَوِي، معجم البلدان، ط. فرديناند ووستنفلد، لايبزيغ 1866-1873 م، ط. أوفست طهران 1965م.

/السيد جعفر شهدي/

بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ. اسم البَيْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَايَعَ بِهِمَا أَهْلُ يَثْرِبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. الْعَقَبَةُ هِيَ الْجَبَلُ الطَّوِيلُ يَعْضُ لِلطَّرِيقِ فَيَأْخُذُ فِيهِ، وَالْمَرْقِيُّ الصَّعْبُ مِنَ الْجِبَالِ. الْمَوْضِعُ الَّذِي بُوِيَ فِيهِ النَّبِيُّ مَرَّتَيْنِ، وَهِيَ عَقَبَةٌ بَيْنَ مَنَى وَمَكَّةَ، قَرِيبَةٌ مِنْ مَنَى وَبَعْدَ وَقْصَةِ، وَفِيهَا مَاءٌ لِبْنِي عِكرَمَةَ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَكَّةَ نَحْوَ مِائَتَيْنِ [خَمْسَةَ كِيلُومِترَاتٍ] (يَاقُوتُ الحَمَوِيُّ، مَج 3، ص 692-693).

بِوفاة أبي طالب وخديجة في السنة السابعة من البعثة النبوية، فقد النبي من ناحية الحامي والمعين، ومن ناحية أخرى، اشتد أذى المشركين عليه (الطبري، مج 2، ص 343-344؛ ابن هشام، مج 1، ص 280؛ حسن إبراهيم حسن، مج 1، ص 91). في السنة الحادية عشرة للبعثة التقى النبي ستة من أهل يثرب (المدينة). قال البعض إن موضع هذا اللقاء كان بالقرب من تلك العقبَة (ياقوت الحموي، مج 3، ص 693؛ الطبري، مج 2، ص 353؛ حسن إبراهيم حسن، مج 1، ص 94؛ ابن سعد، مج 1، ص 218؛ ابن هشام، مج 1، ص 289؛ البلاذري، مج 1، ص 275)، وقال آخرون في منى (ابن سعد، م. ن، ص. ن). كان هؤلاء الستة من الخزرج (قارن ياقوت الحموي، م. ن، ص. ن). سألهم النبي عن هويتهم، فقالوا له إنهم من الخزرج؛ سألهم النبي، أنتم من حلفاء اليهود ومعاهديهم، فقالوا نعم. فأخذ النبي يحاورهم، ودعاهم إلى الإسلام وقرأ عليهم القرآن وعرض عليهم أن يمنعوهم كان ما سمعه أهل يثرب من اليهود عن قرب ظهور نبي في مكة، قد لفت انتباههم إلى النبي [فقالوا: هذا والله النبي الذي تعدنا به اليهود، يجدونه مكتوباً في توراتهم]، وقد ولد ذلك الأمل لديهم في أن يضع حلولة بين ظهرانيتهم حداً للعداء بين الأوس والخزرج (للاطلاع على الحرب بين القبيلتين ← بُعَاثُ*). حين عادوا إلى يثرب ذكروا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأجابهم ناس وفشا فيهم الإسلام.

في السنة الثانية عشرة من البعثة النبوية وافى موسم الحج منهم اثنا عشر رجلاً، هؤلاء الستة وستة آخرون، من سبعة بطون من الأوس والخزرج، التقوا النبي في العقبَة، فأمنوا وأسلموا وبايعوا النبي على أن لا يشركوا بعبادة الله أحداً، ولا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتوا بالبهتان، وأن يطيعوا الرسول لما فيه خير لهم؛ فإن وفوا بهذه البيعة فإن الجنة مأواهم، وإن نقضوها، فعلى الله حسابهم، إما أن يغفر لهم، أو يعذبهم. أطلق على هذه البيعة اسم بَيْعَةِ النِّسَاءِ (حسن إبراهيم حسن، مج 1، ص 94-95؛ البلاذري، مج 1، ص 275-276؛ ابن هشام، مج 1، ص 289-291، 293؛ ابن سعد، مج 1، ص 220؛ الطبري، مج 2، ص 353-357). هنالك من قال إن هذه البيعة قد سُمِّيت بَيْعَةَ النِّسَاءِ لأنَّ عَفْرَاءَ ابنة عبيد بن ثعلبة كانت في عداد المُبايعين، وكانت أول امرأة تباع النبي (حسن إبراهيم حسن، مج 1، ص 95). لكن، يبدو أن تخريج هذه التسمية على هذا النحو، لا أساس له من الصحة، فلم يكن من ضمن هذه المجموعة نساء، ولكن بما أن البيعة نصت أن يكون النبي واحداً منهم، سُمِّيت البيعة بَيْعَةَ النِّسَاءِ. لكنَّ الأصحَّ أنَّها سُمِّيت كذلك، على ما يبدو، لأنها نصت على أن لا تقع حربٌ بين المسلمين والكفار، ولأنَّ الحرب من شؤون الرجال، سُمِّيت بَيْعَةَ النِّسَاءِ (السهيلي، مج 4، ص 70). بعد

هذه البيعة بعث رسول الله مُصَعَبَ ابْنِ عُمَيْرٍ معهم ليعلمهم القرآن (الطبري، مج2، ص 357؛ ابن سعد، م. ن، ص. ن؛ ابن هشام، مج1، ص 293؛ البلاذري، مج1، ص 276؛ حسن ابراهيم حسن، م. ن، ص. ن).

ذكر بعض المؤرخين أنّ إرسال مُصَعَب كان بعد بيعة العقبة الثانية (البلاذري، مج1، ص 277). في موسم الحج، في السنة الثالثة عشرة من البعثة، اجتمع في العقبة سبعون رجلاً أو اثنان وسبعون رجلاً وامرأتان. وحضر العباس عم النبي معه، فقال للمجتمعين: إنّ محمداً منا حمينا ما في وسعنا، وهو يريد الآن أن يأتي إليكم. فإن كان باستطاعتكم حمايته فحسناً، وإلا فخلوه بيننا. قالوا: نحن نبايعه ونعاهده، نحارب من حاربه ونسال من ساله، لذا سُميت هذه البيعة ببيعة الحرب. بعد هذه البيعة اختار النبي من بينهم اثني عشر رجلاً جعلهم نقباء عليهم (حسن ابراهيم حسن، مج1، ص 96-98؛ البلاذري، مج1، ص 277-278؛ ابن سعد، مج1، ص 221-222؛ الطبري، مج2، ص 362-363؛ ابن هشام، مج1، ص 300-301). أصبحت هذه البيعة مقدّمة هجرة النبي إلى يثرب.

المصادر والمراجع: ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت 1405هـ/1985م؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ط. سهيل زكار، بيروت 1412هـ/1992م؛ أحمد بن يحيى البلاذري، كتاب جمل من أنساب الأشراف، ط. سهيل زكار ورياض الزركلي، بيروت 1417هـ/1996م؛ حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام: السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مج1، القاهرة 1964م، ط. أوفست بيروت [لا تا.]; عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ط. عبد الرحمن وكيل، القاهرة 1389هـ/1969م؛ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ط. محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت [1382-1387هـ/1962-1967م]؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط. فرديناند ووستنفلد، لايبزيغ 1866-1873م، ط. أوفست طهران 1965م.

/السيد جعفر شهيدى/

البيعة، بالكسر، مركز عبادة أهل الكتاب [كنيسة النصارى، وقيل كنيسة اليهود]. وردت هذه اللفظة مرّة واحدة في القرآن (الحج: 40)، بحالة الجمع: **بيع**. ذكرها السُّيوطي (الإتقان، مج2، ص 131) في عداد الألفاظ القرآنية غير العربية، وذكر الجواليقي (ص 81)، أن هنالك من يعدّ لفظة البيعة من الفارسيّ المعرب، لكنّ الجفريّ (ص 150)، ردّ هذا الرأي، مدّعياً أنّ سريانيتها واضحة. فهو يقول إنّ الأصل السريانيّ للفظة البيعة بمعنى "البيض" (قارن لفظة البيّض العربيّة بمعادليها العبريّ والآراميّ)، واستخدمت بعد ذلك مجازاً اسماً للجزء الأعلى من القناطر الدائريّة، وكذلك اسماً لمراكز العبادة ذات القباب.

فسر علماء اللغة وأصحاب المعاجم لفظة البيعة، والتي ورد جمعها أيضاً بيّعات وبيعات، في معظم الأحيان بمعنى مركز عبادة النصارى أو الكنيسة، علماً أنّهم قالوا أيضاً إنّها معبد اليهود. عدّها البعض أيضاً مرادفاً للفظة الكنيسة*، وأنها أطلقت في الأصل على جميع معابد اليهود والنصارى، علماً أنّ المشهور أنّ الكنيسة اسم خاصّ بمعبد اليهود (الجرجانيّ؛ ابن منظور؛ الشرتونيّ؛ صفي بوري؛ البستانيّ؛ دوزي، المادّة نفسها).

نقل المفسّرون أقوالاً مختلفة حول البيعة في أثناء تفسيرهم لآية " ... لهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ... " (الحج: 40)، التي هي جزء من آيات الجهاد، من هذه الأقوال: البيعة معبد اليهود، كما أنّ الصومعة معبد النصارى، مع الفارق أنّ الصومعة تُبنى في الصحراء والبيعة في الحضر؛ وعلى العكس فالصومعة المشتركة بين اليهود والنصارى والمسلمين، هي خاصّة بالنصارى؛ كما أنّ الصومعة والصلاة (مفرد صلوات) تعبّران عن المسجد؛ هي اسم المعبد في شريعة موسى عليه السلام؛ هي اسم المعبد في شريعة عيسى عليه السلام (← الطبرسيّ؛ الطوسيّ، التبيان؛ أبو الفتوح الرازيّ؛ السُّيوطيّ، الدرّ المنثور، الآية نفسها).

لم يُجزّ فقهاء الإماميّة إقامة البيع وغيرها من معابد أهل الكتاب في البلدان الإسلاميّة، أو في البلدان التي فتحها المسلمون حرباً. إنّما أجازوا ضمن شروط الإبقاء على هذه المعابد وترميمها في البلدان التي فتحت صلحاً (النجفيّ، مج21، ص 280-284؛ المحقّق الحلّيّ، مج1، ص 331؛ الطوسيّ، المبسوط، مج2، ص 45-46). فقهاء أهل السنة أيضاً متفقون على أنّ إنشاء بيعة أو كنيسة وما شابه لأهل الذمّة في البلاد الإسلاميّة غير جائز، أمّا ترميمها فجائز (الزحيليّ، مج6، ص 448). وردت في الكتب الفقهيّة في باب الوقف أيضاً أحكام حول البيعة والمعابد الأخرى لغير المسلمين. من ناحية أخرى حُسِبَ عدم التعرّض لمعابد أهل الذمّة حقاً من حقوقهم (م. ن، مج6، ص 450).

كانت لفظة البيعة متداولة قبل الإسلام، وعُثِرَ عليها في الكتابات الأثريّة في جنوبيّ شبه الجزيرة العربيّة، واستخدمت مرّات عدّة في الشعر الجاهليّ (جفري، م. ن، ص. ن). وصف ناصر خسرو أيضاً في مدوّنة رحلته [سفرنامه] (ص 62-63) كنيسة تسمّى بيعة القمامة [= كنيسة القيامة] في بيت المقدس، يعظمها النصارى كثيراً، ويأتي لزيارتها سنويّاً الكثير من الناس من

بلاد الروم، ويقضي فيها القسّيسون والرهبان الأيام والليالي في قراءة الإنجيل والصلاة والعبادة.

المصادر والمراجع: فضلاً عن القرآن؛ ابن منظور، لسان العرب، ط. علي شيري، بيروت 1412هـ/1992م؛ حسين بن عليّ أبو الفتوح الرازيّ، روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن، ط. محمّد جعفر ياحقي ومحمّد مهدي ناصح، مشهد 1365-1375ش [1986-1996م]؛ بطرس البستانيّ، محيط المحيط: قاموس مطوّل للغة العربيّة، بيروت 1867-1870م؛ عليّ بن محمّد الجرجانيّ، ترجمان القرآن، ط. محمّد دبّير سياقي، طهران 1360ش [1981م]؛ آرتور جفري، واژهای دخیل در قرآن مجید [الألفاظ الدخيلة في القرآن الكريم]، ترجمه بالفارسيّة فريدون بدره اي، طهران 1372ش [1993م]؛ موهوب بن أحمد الجواليقيّ، المعرب من الكلام الأعجميّ على حروف المعجم، ط. أحمد محمّد شاکر، ط. أوفست طهران 1966م؛ رينهارت بيتران دوزي، تكملة المعاجم العربيّة، ترجمه بالعربيّة محمّد سليم النعيميّ، العراق 1978م؛ عبد الرحمن بن أبي بكر الشّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن، وهبة مصطفى الزحيليّ، الفقه الإسلاميّ وأدلّته، دمشق 1404هـ/1984م؛ عبد الرحمن بن أبي بكر الشّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن، ط. محمّد أبو الفضل ابراهيم، قم 1363ش [1984م]؛ نفسه، الدّر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت [لا تا.]؛ سعيد الشرتونيّ، أقرب الموارد في فصح العربيّة والشوارد، قم 1403هـ؛ عبد الرحيم بن عبد الكريم صفي بوري، منتهى الأرب في لغة العرب، ط. حجرية طهران 1297-1298هـ، ط. أوفست طهران 1377هـ؛ فضل بن الحسن الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط. هاشم رسولي المحلاتيّ وفضل الله يزدي الطباطبائيّ، بيروت 1408هـ/1988م؛ محمّد بن الحسن الطوسيّ، التبيان في تفسير القرآن، ط. أحمد حبيب قصير العامليّ، بيروت [لا تا.]؛ نفسه، المبسوط في فقه الإماميّة، مج2، ط. محمّد تقي الكشفيّ، طهران 1387هـ؛ محمّد بن عمر الفخر الرازيّ، التفسير الكبير، القاهرة [لا تا.]، ط. أوفست طهران [لا تا.]؛ جعفر بن الحسن المحقق الحليّ، شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، ط. عبد الحسين محمّد عليّ، النجف 1389هـ/1969م؛ ناصر خسرو، سفرنامهء حكيم ناصر خسرو قبادياني مروزي [رحلة الحكيم ناصر خسرو القباديانيّ المروزيّ]، ط. دبّير سياقي، طهران 1363ش [1984م]؛ محمّد حسن بن باقر النجفيّ، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، ط. الشيخ عبّاس القوجانيّ، بيروت 1981م.

/مالك الحسيني/

البيك، مسجد، مبنى في إسطنبول، يعود إلى القرن العاشر الهجري. يقول حسين أفندي إيوان سرايي، أن باني هذا المسجد هو محمد بيك سلحشور، الموجود ضريحه أيضًا بالقرب من هذا المسجد، ويضيف أن هذا المسجد كان يُسمّى أيضًا مسجد صراحي، لكن اسماعيل بيك زادة عثمان وخليل أدهم سمّيا هذا المسجد: مسجد محمد بيك صلاحى. ليس في المتناول معلومات عن تاريخ بناء هذا المسجد وعن بانيه، لكن يُستنتج من طراز بنائه وخصائصه المعماريّة، أنه يعود إلى القرن العاشر الهجري؛ ولما يتمتع به هذا المبنى الصغير من تنظيم بنويّ ممتاز ودقّة في الصنع، نُسب بناؤه إلى سنان [أشهر المعماريين الأتراك]، لكن اسم هذا المسجد لم يرد في فهرس آثار سنان.

في العام 1346هـ / 1928م صُنّف مسجد البيك ضمن المباني المهذّمة، ولم تقلح قيمته الفنيّة في إدراجه ضمن لائحة المساجد التي يجب أن تتم المحافظة عليها. ظل هذا المسجد سنين عديدة خربة لا سقف له، إلى أن أعيد ترميمه وإحيائه في العام 1389هـ / 1970م.

عاين أكرم كوتشوا¹ المسجد في العام 1380هـ / 1961م، فأشاد بجماله، وأوصى بضرورة ترميمه. صحن المسجد مرتفع عن مستوى الشارع المحاذي له من الأمام. جدرانه مربّعة، ومبنيّة بالحجارة المربّعة وبالآجر، أمّا مدخله فمن خلال صحن بابّه يُفتح على الشارع، ويجب اجتياز عدّة درجات للوصول إليه. بجانب هذه الدرجات، منذنة صغيرة منفصلة عن الجدار. بمحاذاة المسجد رواقٌ مستطيل الشكل مقابل مدخل مقبرة مربّعة. ومن خلال هذا الرواق يتمّ الدخول إلى محوطة المسجد الرئيسيّة. هذا المسجد بالظلة والمقبرة، وطراز منذنته، نادر المثال في الفنّ [المعماريّ] التركيّ. لمنذنته المشيّدّة على العكس من السائد، مقابل جدار القبلة، واجهة جميلة ودقيقة الصنع. هذه المنذنة، كالمسجد نفسه مبنيّة بالحجارة المربّعة الزوايا وبالآجر. كان مسجد البيك يتضمّن مقبرة، وأشجارًا في محيطه.

المصادر والمراجع: حسين إيوانسرايي، حديقة الجوامع، اسطنبول 1281هـ، مج1، ص 280؛ إسماعيل بيك زادة عثمان بيك، مجموعه جوامع [مجموعة المساجد]، اسطنبول 1304هـ، مج2، ص 2؛

.... أجنبيّ

.....

للاطلاع على صورة كاملة للمصادر ← د. أ. د. التركيّة، المادّة نفسها.
/سماوي إبيجة، ملخصاً من (د. أ. د. التركيّة)/

¹ - R. Ekrem Koçu.

البيك والبيغم، صفتان أو لقبان تركيّان.

1) البيك (بيك/بك بالفتح والكسر، وأيضًا بالكاف الفارسيّة؛ اليوم "بي") هذه الكلمة هي الصورة النهائيّة للقب قديم في اللغة التركيّة العثمانيّة، وهو في التركمانيّة beg، وفي التركيّة الشرقيّة big، وفي القوزاقيّة biy/bi. هذا اللقب يُشاهد أيضًا في الكتابات الحجريّة الأورخونيّة، وفي النصوص الأويغوريّة، ويُستخلص من المصادر الشرقيّة والغربيّة قبل الإسلام، وبعده أيضًا، أنّه كان متداولًا في أوساط القبائل والحكومات التركيّة، ومن المؤكّد أنّ له ارتباطًا من حيث الاشتقاق بلقب "بغي" begi المغوليّ، و "بوغين" bögin الشيشنيّ، و "بيله" beyle المنشويّ. يدّعي فريق من علماء اللغات من بلوشه² (مج12، ص 92) وحتى كوتويتش³، أنّه مأخوذ من اللقب الصينيّ القديم "بك"؛ لكنّ في المقابل يرجّح عددٌ من المحقّقين أنّ هذه اللفظة هي نفسها "بغ" (الفارسيّة القديمة: "بگه"؛ السنسكريتيّة: "بهاگا"؛ البهلويّة: "بي، bē"، اللقب الذي كان يُطلق على الملوك الساسانيّين بمعنى السيّد، والرّبّ (← بروكلمان، ص 223). في كلّ الأحوال، إنّ الأتراك هم على الأرجح أوّل من استخدم هذا اللقب، وأخذته عنهم الشعوب الألتائيّة الأخرى. يمكننا تلخيص المعاني الأساسيّة لهذه اللفظة في مرحلة حكم ال "غوك- الأتراك" (الأتراك القدماء) على النحو التالي: أ) لقب رؤساء القبائل الصغيرة، أو رؤساء المجموعات الكبرى المتشكّلة من القبائل الصغيرة، وهذا اللقب أدنى مرتبة من لقب "الخان"، أو "قاغان" [قان/خاقان]، ونحن نعلم أنّ سلطان الغوك- الأتراك، كان قد منح بارس بيك (برسباي)، رئيس القرقيزيّين لقب "قاغان" (ب) مفهوم "بي لر" (جمع بيك= البكوات)، في الكتابات الحجريّة الأورخونيّة، يعبر عادةً عن الطبقة الممتازة والعريقة، التي تختلف عن طبقة عامّة الشعب (بودون)⁴. بهذا المعنى يندرج تحت لقب "بي" جميع أمراء العائلة المالكة أيضًا (ج) كل واحد من ذوي النفوذ وأصحاب المناصب الكبار والصغار، أي الموظفون، يُمنح أيضًا هذا اللقب. هؤلاء، على الرغم من ذكرهم في بعض عبارات الكتابات الحجريّة، منفصلين عن عامّة الشعب والبكوات، لكنّ في بعض الأماكن ذكروا بمعنى "الموظفين البكوات" (نصوص الكتابات الحجريّة وترجماتها، التي نُشرت بجهود تامسن ورودولف). توجد هذه الكلمة بهذه المعاني نفسها لدى الأويغوريّين (← النصوص المنشورة بفضل مولر، وبنغ وآخرين)، بناء على ما كتبه ابن فضلان*، وكتابات كونستانتينوس بورفيروغنتوس⁵، كان هذا اللقب موجودًا في أوساط الخزر (← نيمث غيولا⁶، ص

² - E. Blochet

³ - W. kotwicz

⁴ - Budun

⁵ - Konstantinos porphyrogenetos

⁶ - Nemeth Gyula

212). كان هذا اللقب على الأرجح موجودًا أيضًا في أوساط البلغاريين الأوائل (البدو) (← كادلِك⁷، ص 68).

حافظ الأتراك بعد إسلامهم، ودخلهم حياض الحضارة الإسلاميّة، على هذا اللقب بمعناه ومضمونه السابقين. كان الموظفون الحكوميون القراخانيون، ذوو المقام الرفيع يستخدمون هذا اللقب أيضًا (مثلًا محمود بيك نائب علي تغين حاكم سمرقند؛ البيهقي، مج1، ص 420). كان الأوغوز الأوائل، مؤسسو دولة السلاجقة، لا يحملون في البداية سوى لقب البيك (← طغرل بيك*)). نرى في المصادر التاريخيّة بشكل واضح، أنّ زعماء الأوغوز والقرلوق كانوا يحملون في القرنين الخامس والسادس الهجريين لقب "البيك" (لاشين بيك، طوطي بيك، وأمثالهما). كان لكلمة "بكتش" المتداولة في أوساط القراخانيين في القرن الخامس الهجري أيضًا، كما ذكر محمود الكاشغري (مج1، ص 297 وما بعدها)، صلةً بكلمة "بك"، وهي تصغيرٌ لها. كان توقّر (أو تقر) بيك الكاشغري، الذي استوزره السلطان سنجر لمدة وجيزة، كما يتّضح من لقبه (بيك)، من العرق التركيّ الأصيل.

منذ عهد السلاجقة العظام، نرى بين الحكومات التركيّة المختلفة، لقب "البيك" معادلًا للقب "الأمير" العربيّ؛ مثلًا بدلًا من أمير الجيوش "جيوش بيكي" [بيك الجيوش]؛ وبدلًا من أمير العطاء "داد بيكي"، وبدلًا من أمير الأمراء "بيكلربيكي". وعلى الرغم من المحافظة في المؤسّسات الإداريّة، بتأثير من التقاليد الإداريّة القديمة، على المصطلحات القديمة العربيّة والفارسيّة، بدأ استخدام الأسماء والألقاب التركيّة إلى جانب هذه المصطلحات، ويمكننا عدّ ذلك دليلًا على تأثير اللغة المحكيّة إلى حدّ ما في اللغة الرسميّة، وحسابه أحد السمات الخاصّة بعصر السلاجقة الكبار. تزايدت قوّة هذا التأثير في عصر الإيلخانيين وآلتون أردو [= المعسكر الذهبي]، وشاع استعمال لقب البيك بدلًا من الأمير (مثل أولوس بيكي، تومن بيكي، مين بيكي، يوزبيكي، وأون بيكي).

نلاحظ، فضلًا عن الألقاب: خاقان*، وخان*، وسلطان* التي كانت متداولة لدى السلالات الكبيرة مثل القراخانيين والسلاجقة، أنّ عددًا من الحكام التابعين للسلالات الصغيرة والأمراء، كانوا يستخدمون لقب الأمير والبيك؛ ومن المعلوم أنّ الحكام العثمانيين الأوائل، وأمراء الأناضول والقراوينلوينين والاق قوينلوينين استخدموا هذا اللقب أيضًا (نعلم من خلال مدوّنة الدستور: دستورنامة للأنوزي أنّ أيدين أوغوللاري [= بنوأيدين]، كانوا يمنحون قادتهم الكبار لقب أولوبيك [= البيك الكبير]، وفي القرن الثامن الهجريّ، كان لقب البيك متداولًا لدى بعض السلالات كالجلائريين؛ حتى أنّنا نلاحظ أنّ فاتحًا كبيرًا كتيّمور [تيمورلنك]، لم يستخدم لقب الخان الخاصّ بسلالة جنكيز، وفضّل لقب الأمير أو البيك.

في القرن التاسع الهجريّ، في المناطق التي كان يحكمها أولاد تيمور، وفي الحكومات التركمانيّة، كان الأتراك الأقحاح، ورؤساء القبائل يُمنحون لقب

7 - K. Kadlec

بيك، أو معادلته العربيّ أي "الأمير" أو "المير"؛ مع الفارق أنّ اللقب التركيّ كان يذكر في آخر الاسم، واللقب العربيّ في أوّله مثل "ميرعليشير"، أو "عليشيربيك"، لكنّ في الحالات التي لم تكن فيها لفظة البيك لقباً وإمّا جزء من اسم علم مركّب، كانت تأتي في معظم الأحيان في أوّل الاسم، مثل "بيك تكين" و "بيك تيمور". وهذه القاعدة نفسها كانت تراعى في الكلمات التي تُستخدم فيها كلمة "باي" بمعنى "المقتدر" مثل بايتوز وبايقرا وبايبرس (بيبرس) [← باي*]. في الهند كان أعقاب الأتراك- المغول، أي المتحدرون من الأرسقراطية العسكريّة، يضيفون لقب بيك إلى أواخر أسمائهم للدلالة على أصلتهم، كما تلاحظ بكثرة في بلاطات الحكّام الأتراك في الهند كلمة "خانم" (خانيم)، مؤنّث الخان، و "بيغيم = بيگيم" مؤنّث "بيگ = بيك" [← بايرنامه* [تاريخ بابر، وتنمّة المقالة]. مع ذلك استُخدمت كلمة "بيك" كذلك جزءاً من أسماء السيدات مثل "ساتي بيك خان" ابنة الحاكم الإيلخانيّ أولجايتو. الشاهد الآخر على هذا النحو من الاستعمال، اسم "بيك خان"، الذي كان متداولاً منذ زمن بعيد لدى أتراك الأناضول.

في العصر الصفويّ فقد لقب "بيك" أهمّيته السابقة، فالسلاطين الصفويّون استخدموا لقب "الشاه"، وكانوا يمنحون كبار أمراءهم لقب السلطان أو الخان، ييغون من وراء ذلك الحط من قدر ألقاب السلاطين العثمانيّين وخوانين آسيا الوسطى، الذين كانوا يُعدّون أعداءهم السياسيّين. حين كان يحين وقت ترقية رؤساء القبائل وكبار الموظفين الذين كانوا يحملون لقب البيك، يُمنحون لقب السلطان، وبعده لقب الخان (← أحسن التواريخ و عالم آراى عباسى وغيرهما من مصادر العصر الصفويّ). في الدولة العثمانيّة كان زعماء القبائل وكبار الموظفين العسكريّين وغير العسكريّين، وأبناء الشخصيّات الرسميّة البارزة يُمنحون لقب "بيك". مع ذلك، حافظ لقب بيكلربيكى* [بيك البكوات = أمير الأمراء] لعدّة قرون، على الأهمّيّة التي كانت له في عصر سلاجقة الأناضول والإيلخانيّين؛ واستمرّ أيضاً بعد عصر التنظيمات (عصر الدستور = الإصلاحات الإداريّة والثقافيّة والأدبيّة في عصر عبد المجيد في العام 1255هـ/1839م)، رتبة تأتي بعد "الوزير" وال "بالا [الرفيع]"، إلى أنّ ألغيت المناصب غير العسكريّة. كانت كلمة بكلكجي (بيكليجي) بمعنى رئيس الديوان موجودة في المؤسّسات الإداريّة العثمانيّة، حتى القرن الثالث عشر الهجريّ/التاسع عشر الميلاديّ، وإلى حدّ علمنا بقيت جرفة "بكلجليك" الديوان الهمايونيّ [السلطانيّ] في إدارة صدارة الحكومة المركزيّة، جزءاً من الوظائف الكبرى إلى حين سقوط السلطنة.

كانت كلمة بيك منذ قرون خلت مستخدمة لقباً في أوساط رؤساء القبائل الكرديّة، مستوحاةً من الأتراك (← شرف خان البديسيّ، شرفنامه [تاريخ شرف])، وتسربت بعد قيام الدولة العثمانيّة إلى مختلف لغات البلقان (← لوكوتش⁸، ص 24). في أواسط القرن الثالث عشر الهجريّ، كان يوجد في المؤسّسة العسكريّة

⁸ - Karl Lokotsch.

القاجاريّة أصحاب مناصب يحملون لقب "بيك زادة"، كان تحت إمرتهم قادة مجموعات المائة نفر، يحملون لقب "سلطان" (سروان). كان أصحاب المناصب هؤلاء لانتسابهم إلى العائلات الكبيرة، يحملون لقب "بيكزادة" [سليل البكوات] (بُلن، ص 38).

المصادر والمراجع: محمّد بن الحسن البيهقيّ، تاريخ البيهقيّ، ط. سعيد نفيسي، طهران 1309ش [1930م]؛
أجنبي...

/محمّد فؤاد كوبريلي (د. أ. التركيّة)/

2) **بيغم** (بيغم، مخففها بگم [بيغم]، في فارسيّة شبه القارّة الهنديّة: بيغم [بيغم]، وفي التركيّة بيغم [بيغم]، مونث بيگ [البیگ])، لقبٌ فخريّ، خاصٌّ حصراً بالأميرات، في الحقبة المغوليّة من تاريخ الهند. كانت جهان آرا* بيغم، ابنة شاه جهان [الملك المعروف في سلالة تيموريّ الهند، حك: 1038-1069هـ] العازبة، في أثناء حكم أبيها، تحمل اللقب الرسميّ "پادشاه بيگم" [جلالة الملكة]، واحتفظت بهذا اللقب، حتى بعد اعتقال شاه جهان وسجنه (كانت تدعى أيضاً "بيغم صاحب" أو "بيگم صاحبه" [صاحبة الجلالة]. في عهد السلطان أكبر [ثالث الملوك التيموريين في الهند: حك 963-1014هـ]، كانت البيغمات (الملكات والأميرات) يتقاضين سنويّاً بين 1'028 و 1'610 روبية راتباً دائماً. بعد موت جهانغير [ملك الهند المغوليّ، حك: 1014-1037هـ]، جعل خليفته شاه جهان، لأرملته جهان نور راتباً سنويّاً قدره 200'000 روبية. كانت ممتاز محلّ زوجة شاه جهان، تتقاضى سنويّاً 1'000'000 روبية من الخزانة الملكيّة، في حين أنّ ابنة شاه جهان پادشاه بيغم كانت تتقاضى سنويّاً 600'000 روبية، نصفها نقداً ونصفها أملاكاً. جعل أورنغ زيب [سادس ملوك الهند التيموريين، حك: 1068-1118هـ]، لهذه الملكة راتباً سنويّاً مقداره 1'200'000 روبية.

قبل تشكيل دولة باكستان 1366هـ/1947م، كانت الواحدة من السيّدات المنتميات إلى عائلات الأشراف والأكابر المسلمين تُدعى بيغم؛ أمّا الآن ففي باكستان جميع السيّدات المتزوّجات، باستثناء نساء الطبقة المعدمة، تُدعى الواحدة منهنّ بيغم، بمعنى السيّدة. هذه الكلمة غير متداولة بهذا المعنى في الدول العربيّة أو الفارسيّة اللّغة. من العادات والتقاليد في باكستان أنّ يخاطب الأزواج زوجاتهم على الملأ، أو في الخلوة بصفة بيغم، ويلتزمون بعدم ذكر أسمائهن، وفي الهند وباكستان، ينادي الخدم ربّة المنزل بيغم. وتُضاف هذه الكلمة كلاحقة إلى أسماء الوليدات حديثاً، لكنّ هذه العادة سرعان ما نُسخت.

المصادر والمراجع: أحمد الدهلويّ، فرهنگ آصفیه [المعجم الآصفيّ]، لاهور 1986م، مادة "بيگم"؛ عبد الحميد اللاهوريّ، پادشاه نامہ [تاريخ الملوك] (مجموعة الآثار الهنديّة)، مج1، ص 96، الفهرس؛ أحمد عبد العزيز بن محمّد النائطيّ، أصف اللغات، حيدر آباد الدكن 1327-1340هـ، مادة "بيگم"؛

أجنبي....

/بزمي الأنصاريّ (د. الإسلامية)/

البيمارستان، المكان الذي يجري فيه علاج المرضى وتطبيبهم. هذه الكلمة الفارسيّة مركّبة من "بيمار" [المريض] واللاحقة المكانية "ستان". أمّا مرخّمها "مارستان" فبمعنى "دار المجانين" على الأغلب، سُمّي في الأندلس "مالاستان/ماراستان"، وفي مصر "مُرستان"، وفي المغرب "مُرستان/مِستران". كان اسم مستشفى/مدرسة الطّب في جنديسابور البيمارستان (← تتمة المقالة، قسم إيران)، وهذا دليل على قِدَم رواج كلمة بيمارستان. يُستخلص من نصّ وفتية المستشفى الذي بناه تمّغاج بُغرا، أوّل ملك قراخانيّ مسلم، في العام 458هـ في سمرقند، على استخدام الاسم "دار المرضى" في تلك الأونة، بدلاً من "بيمارستان"، وفي عصر السلاجقة "دار العافية" و "دار الشفاء". كان العثمانيّون يَستخدمون فضلاً عن "دار الشفاء"، الأسماء: "دار الصّحة" و"شفاخانه" [دار الشفاء]، و "بيمارخانه" [دار المرضى]، و "تيمارخانه" [دار المجانين]، وابتداءً من القرن الرابع عشر الهجريّ/العشرين الميلاديّ، بعد تأسيس المراكز الصحيّة الحديثة على الطراز الأوروبيّ، استُخدم الاسم "خسته خانه"⁹. الاسم المستخدم في البلاد العربيّة اليوم هو: المستشفى، أو المشفى.

القرن الإسلاميّ الأوّل. ورد في سيرة ابن هشام (مج3، ص 239)، وصفٌ لكيفية إنشاء أوّل مركز علاج، لمدّاواة جرحى غزوة الخندق؛ فقد أقامت سيّدة تُدعى رُفيدة الأنصاريّة، في مسجد الرسول خيمةً لمدّاواة الجرحى، عولجَ فيها بأمر من الرسول سعدُ بن معاذ. يرى المقرئزيّ (مج2، ص 405)، أنّ إنشاء أوّل بيمارستان في العالم الإسلاميّ، من إنجازات الوليد بن عبد الملك الأمويّ في العام 88هـ، ويقول، إنّه عيّن أطباء أجرى لهم أرزاقاً دائمة، وأصدر أمراً بفصل المجذومين، ومنعهم من التجوّل بين الناس. يقول ابن دُقماق أيضاً (مج1، ص 99) إنّ منزل أبي زبيد في محلة سوق القناديل في فسطاط مصر قد حوّل في العصر الأمويّ إلى بيمارستان.

أولى المراحل المضيئة في تاريخ المستشفيات بعد الإسلام، كانت في عهد الخلفاء العبّاسيين. ففي العام 148هـ مرض المنصور فاستدعى جورجيس بن جبرائيل بن بُختيشوع [رئيس بيمارستان جنديسابور، ← بُختيشوع*] من جنديسابور إلى بغداد. بعد ذلك ساهم أطباء جنديسابور مساهمةً لا يستهان بها في تقدّم الطّب الإسلاميّ وإنشاء البيمارستانات (← تتمة المقالة، قسم إيران). طلب هارون الرشيد (حك: 170-194هـ) إلى جبرائيل بن بُختيشوع بن جورجيس أن ينشيء بجانب الكرخ بيمارستاناً شبيهاً بجنديسابور. ثمّ استقدم أبا يوحنا ماسويه من جنديسابور، وعيّنهُ رئيساً له، وقد ترأسه من بعد ابنه يوحنا بن ماسويه (ابن أبي أصيبعة، ص 242-243، 246 وما بعدها). بنى البرامكة أيضاً في بغداد

⁹ - Hastahane.

بیمارستاناً باسمهم، أوكلوا رئاسته إلى طبيب هندي اسمه ابن دهن، وطلبوا إليه أن يُترجم المؤلفات الطبيّة السنسكريتيّة بالعربيّة (ابن النديم، ص 305).

لا نعلم إلى أيّ زمن ظلّ العمل جارياً في بیمارستان هارون الرشيد، لكنّ ما لا شك فيه أنه ظلّ المثال المحتذى به في تأسيس بیمارستان الأخرى.

في العام 247هـ، أنشأ الفتح بن خاقان وزير الخليفة المتوكل، التركيّ بیمارستاناً في معافير الفسطاط (المقرزي، مج2، ص 406)، وفي العام 302هـ أنشأ عليّ بن عيسى بن الجراح (ابن الجراح) بیمارستاناً في حربيّة بغداد. بعد ذلك تزايد عدد بیمارستانات المستحدثة في بغداد، وغيرها من النواحي، بحيث بات القرن الرابع الهجريّ يُعدّ مرحلة ازدهار الطبّ الإسلاميّ، وإنشاء بیمارستانات. في ذلك العصر، أوكل عليّ بن عيسى إلى الطبيب المشهور أبي عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقيّ، فضلاً عن إدارة بیمارستانات بغداد، إدارة بیمارستانات مكة والمدينة (ابن أبي أصيبعة، ص 316). قبل ذلك في عصر الخليفة المعتضد (279-290هـ) بنى أمير أمراءه بدر المعتضدي* بیمارستاناً في الضاحية الشرقيّة لبغداد (م. ن، ص 301). في أوّل المحرم من العام 306هـ، افتتح بیمارستان السيّد، الذي بُني باسم أمّ مجد الدولة البويهّيّ في بغداد، على يد الطبيب المشهور سنان بن ثابت. بلغت النفقات الشهريّة لهذا بیمارستان ستمائة دينار (القفطيّ، ص 195؛ ابن أبي أصيبعة، ص 302). في العام 306هـ، بنى الخليفة المقتدر بالله، بناءً على نصيحة سنان بن ثابت، في محلّة باب الشام في بغداد "البیمارستان المقتدريّ"، وخصّص له ميزانيّة شهريّة قدرها مائتي دينار (القفطيّ، ص 194-195؛ ابن أبي أصيبعة، م. ن، ص. ن). أنشأ ابن الفرات أحد وزراء الخليفة العبّاسيّ المقتدر بالله، ذوي النفوذ، بیمارستاناً في ناحية درب المفضلّ في شرقيّ بغداد، أوكل خلفه الخاقانيّ رئاسته في العام 313هـ إلى الطبيب سنان بن ثابت (ابن أبي أصيبعة، ص 304-305). شيّد أبو الحسين بجكم* أيضاً في العام 330هـ، على الضفّة الغربيّة لنهر دجلة، على قمّة تلة صغيرة يربض فوقها قصر هارون الرشيد، بیمارستاناً باسمه، بناءً على نصيحة سنان بن ثابت الطبيب (القفطيّ، ص 193؛ ابن أبي أصيبعة، ص 304).

في ذلك الحين كان في واسط، والرّقة، وميافارقين، وحرّان، وأنطاكية، ونصيبين، وإيران (← تتمة المقالة، قسم إيران) أعداداً من بیمارستانات (ترزي أوغلو، 1968م، ص 42-52؛ أحمد عيسى، ص 198، 201-202، 204، 266-269). في تلك المرحلة، بناءً على اقتراح سنان بن ثابت، وأوامر عليّ بن عيسى، كان أطباء يزورون السجون يومياً، ويُعاینون المرضى، ويجيزون لهم تناول بعض أنواع الأدوية (ابن أبي أصيبعة، ص 301). كان يُرسل كذلك، بأمر منه، بیمارستان سيار إلى قرى جنوبيّ العراق، وكان الأطباء المرافقون يُعاینون المسلمين وغير المسلمين أيضاً، ويعالجونهم (القفطيّ، ابن أبي أصيبعة، م. ن، صص. ن).

في تلك المرحلة، بالإضافة إلى بیمارستانات الكاملة التجهيز، كانت توجد بیمارستانات أيضاً لها سمات الخانقاهات [التكايا الدرويشيّة]، مخصّصة

لمعالجة المرضى النفسيين؛ وقد ذكر المُبرِّد الأديب المشهور المعاصر للمتوكّل، مؤسّسة من هذا النوع في دير حزّقل بين بغداد وواسط. يتّضح من خلال المعلومات المستقيضة التي قدّمها مؤلّفو القرنين الثالث والرابع الهجريّين (اليقوبي، ص 321؛ المسعودي، مج4، ص 89) عن هذا الـبيمارستان، أنّه أقدم بيمارستان نفسيّ، وأرقى من "بيمارستان فالنسيا¹⁰/بلنسية العام" في الأندلس (أسّس في العام 812هـ/1409م)، ومستشفى بتلهم¹¹ [= بيت لحم] في لندن (أسّس سنة 807هـ/1404م) (ترزي أوغلو، 1968م، ص 42). أفضل أنموذج للبيمارستانات التي كانت تتمّ فيها معالجة الأمراض الجسديّة والنفسية، في القرن الثالث الهجريّ، بيمارستان أحمد بن طولون في الفسطاط، الذي كان قد شيّد إلى جانب مسجد ابن طولون الجامع. يقول المقرئزيّ (مج2، ص 405-406)، كان يُفرض على المرضى في ذلك الـبيمارستان أن يرتدوا ثياباً خاصّة؛ بعد ذلك تتمّ معالجتهم، ويؤمّن لهم الدواء والطعام. كان هذا الـبيمارستان الذي أنفق على إنشائه وتجهيزه ستون ألف دينار، يستقبل فضلاً عن العبيد والجنود، الناس من مختلف الطبقات، الأغنياء والفقراء على حدّ سواء. وكلّ يوم جمعة كان ابن طولون يتفقد الـبيمارستان، ويطلع على سير الأمور فيه. لهذا الـبيمارستان أهمية كبيرة في تاريخ الطبّ والنفسية. أسّس أيضاً كافور رابع الأمراء الإخشيديين، في العام 346هـ في الفسطاط بيمارستاناً باسم الأسفل (م. ن، ص. ن). لكنّ أهمّ بيمارستانات العالم الإسلاميّ في القرن الرابع الهجريّ، كان الـبيمارستان العضديّ*. لم يبق اليوم أيّ أثر يدلّ عليه، علماً أنّه ظلّ يعمل حتى العام 656هـ. كذلك لم يبق أيّ أثر للبيمارستانات الأخرى في العالم الإسلاميّ العائدة إلى ما قبل عصر السلاجقة. حتى أنّ كتباً مثل صفات الـبيمارستان للرازيّ، وكتاب الـبيمارستانات تأليف زاهد العلماء الفارقيّ (الطبيب في بيمارستان ميّافارقين في القرن الخامس الهجريّ) قد فقدت أيضاً، (← القفطيّ، ص 272؛ ابن أبي أصيبعة، ص 341، 414-415).

¹⁰ - Hospital general Valencia.

¹¹ - Bethlehem.

د. أ. د. التركيّة، مادّة "Bîmâristan"

خريطة منشأة طبيّة في بغداد في العصر العبّاسيّ، من القرن الثاني حتى الرابع الهجريّين (أعاد رسمها ترزي أوغلو نقلاً عن خريطة لسترنج)

الجهة اليمنى صورة:

موقع البيمارستان والمدارس في العصر السلجوقيّ في شرقيّ بغداد.

شمال غربيّ أفريقيا والأندلس. ما من بيمارستان من تلك التي بُنيت في المغرب والأندلس، بقي محافظاً في الوقت الراهن على شكله القديم. البيمارستان الأقدم في تونس، كان قد بُني في محلة ديمنة في القيروان بأمر الأمير الأغلبيّ (حك: 202-224هـ). كان يضمّ غرفاً للمرضى، وغرفاً انتظار للزوّار، ومسجداً صغيراً، وغرفة دراسة، وكان الأطباء يُعالجون المرضى بمساعدة ممرضات سودانيّات (حسن عبد الوهّاب، ص 907، 916؛ الحمارنة¹²، ص 375). كما ذكر الزرّكشيّ (ص 102)، أنّ أول من بنى بيمارستاناً [في مدينة تونس] هو أبو الفوارس، من الأمراء الحفصيّين، تمّ إنجاز البناء في العام 823هـ.

الخبر الوحيد عن أول بيمارستان كبير في فاس، مفاده أنّ بانيه هو الأمير الموحدّيّ أبو يوسف يعقوب (المنصور بالله، حك: 580-596هـ). كان هذا الأمير يولي بناء هذا البيمارستان الكثير من الأهميّة، فدعا إلى بلاطه كبار أطباء عصره، من بينهم ابن طفيل، وابن رشد، وابن زهر الحفيد، وابنه، عبد الله بن الحفيد، وشيّد [بعد استشارتهم] للمسلمين بيمارستاناً كبيراً. هذا البيمارستان كان مبنياً فخماً، كما وصفه عبد الواحد المراكشيّ (ص 209)، أقام هذا الحاكم أيضاً في منطقة حكمه بيمارستانات للمجانين، والمجنومين، والعميان. لقد بذل السلاطين المرينيّون الكبار، أبو يوسف يعقوب، وأبو الحسن المرينيّ وأبو عنان المرينيّ، جهوداً كبيرة للمحافظة على هذه المنشآت، كما شيّدوا هم أيضاً بيمارستانات جديدة. يقول ابن بطوطة (703-779هـ) عن معاصره أبي عنان المرينيّ (حك: 750-760هـ)، أنّه بنى في كلّ مدينة من مملكته بيمارستاناً، خصّص له أوقافاً كثيرة لتأمين نفقات الأطباء والأدوية (ص 43، 663). بعد ذلك حين تولّى الحكم أمراء كانوا يضعون أيديهم على تلك الأوقاف، ويستولون عليها، آلت شمس تلك المستشفيات إلى الأفول. فالبيمارستان المعروف العائد إلى عصر الموحّدين في مراكش، زال من الوجود، ولم يبقَ أيّ أثر له، وكذلك البيمارستان الآخر الذي أقامه الأمير سعدي أبو محمّد، عبد الله الغالب بن محمّد المهديّ (حك: 965-982هـ)، في المكان نفسه، عطل، وحُوّل إلى سجن للنساء (سلاوي، مج5، ص 39). يقول ليون الأفريقيّ*³¹، أنّه شاهد في مدينة فاس في أوائل القرن العاشر الهجريّ/السادس

¹² - Hamarneh

¹³ - Léo Africanus.

عشر الميلادي، بيمارستاناً مهذباً كلياً، كان قد حُوّل من قبل إلى موضع لحجر المجانين الخطرين (مج2، ص 78). بنى المولى (عبد الرحمن بن هشام) السلطان العلوي، في العام 1247هـ، بيمارستاناً في سلا، إلى جانب مقبرة سيدي بن عاشر، ظل يعمل إلى زمن قريب، لكن مرضاه كانوا لا يعتمدون على الأطباء، بل ينتظرون الشفاء من العارف الواصل صاحب ذلك المزار. في فاس كان مرضى الجذام بشكل عام، يُحجر عليهم في معازل خاصة، في ضواحي المدينة. هؤلاء المرضى الذين كانوا يُجمعون في باب الهومة، على رأس الطريق من فاس إلى تلمسان، نُقلوا في النصف الأول من القرن السابع الهجري إلى المغاور الواقعة في ضواحي باب الشريعة.

في الأندلس، بُنيت، لعزل مرضى الجذام، بيمارستانات خاصة خارج المدينة، من بينها قصر مُنيّة العَجَب، بجانب الوادي الكبير⁴¹، في ضواحي قرطبة (لوفي بروفنسال، مج3، ص 434).

كان في قرطبة، بناءً على ما ذكره المَقْرِي، في الحقة الإسلامية، خمسون بيمارستاناً عاملاً: حوّل الإسبان [بعد سقوط غرناطة]، البيمارستان الذي كان الأمير محمد الخامس، من بني نصر، قد بناه في غرناطة في العام 777هـ، إلى دار للضرب. وقد هُدم هذا المبنى في العام 1260هـ؛ لكن المهندس المعماري الفرنسي غيهابو⁵¹، استخلص خريطة له، يظهر فيها المستشفى مبني من طبقتين حول باحة داخلية محاطة بأواوين ذات أعمدة، شديد الشبه بالبيمارستان الذي بُني في العام 673هـ في توقاد بأمر من معين الدين بروانه*، ولا يزال قائماً (كمتحف) (ترزي أوغلو، 1968م، ص 58-62، غيهابو، مج6، ص 414). على أساس لوحة الكتابة الحجرية لهذا المستشفى، المحفوظة في متحف غرانادا (غرناطة)، كانت تُعالج في هذا المستشفى مختلف أنواع الأمراض، ومبناه رائع ولا مثيل له جمالياً. في هذا الادعاء على ما يبدو شيء من المبالغة، فمثل هذه المباني كانت موجودة بكثرة في جميع أنحاء الأندلس، لا سيما في غرناطة (جنوبي إسبانيا). في الخريطة التي أعدها كونل⁶¹ لغرناطة في عهد "بني نصر"*، اعتماداً على المصادر القديمة، سُميت البوابة الغربية لحصن المدينة الأقرب من البوابات الأخرى إلى مسجد المدينة، "باب المارستان"، وهذا دليل على أنه كان يوجد في تلك الناحية، فضلاً عن البيمارستان الذي شيده محمد الخامس بالقرب من قصر الحمراء، بيمارستان آخر (ترزي أوغلو، 1968م، ص 57-58).

بعد العصر الإسلامي في الأندلس، ظلّ المعماريون المسلمون يبنون البيمارستانات للأمراء والأميرات، وحتى للرهبان، بالقرب من مقرّ إقامتهم، كبيمارستان لاتينا⁷¹ في مدريد، ومصممه وبانيه كما يُصرح نصّ وقفيته مهندس

¹⁴ - Guadalquivir

¹⁵ - Geailhabaud

¹⁶ - E Kühnel

¹⁷ - Hospital de Latina

معماريُّ مسلم اسمه حسن (خوان¹⁸، ص 241). لا يزال الباب الرئيسيُّ لهذا الـبيمارستان، قائمًا حتى الآن، وهو نموذج من تزاوج فنِّ العمارة الإسلامية والأوروبيَّة.

في المناطق السلجوقية. [نظرًا لانتساع مساحة المناطق التي كان يحكمها السلاجقة، ولطول المدَّة التي استغرقها حكمهم، ولكثرة الـبيمارستانات التي أنشئت في عصرهم في مختلف أرجاء العالم الإسلاميِّ، جرت دراسة هذه المرحلة وتقويمها على نحو مستقلِّ].

إنَّ دراسة الآثار العائدة إلى العصر السلجوقيِّ، ومن ضمنها بيمارستان نور الدين في الشام (446هـ)، ودار الشفاء جوهرنسب، ودار الشفاء غياث الدين كيخسرو في قيصريَّة (602هـ)، ودار الشفاء كيكاووس في سيواس (614هـ)، وبيمارستان توران ملك، ابنة بهرام شاه، في ديفرغي¹⁹ (625هـ)، ودار الشفاء بروانه بيك، المعروف باسم غوك مدرسه [= المدرسة اللازوردية] في توقاد (674هـ)، ومستشفى أتابك فرخ في كَنغري (تشانغري؛ 632هـ)، ومستشفى علي بن بروانه في قسطنطيني (670هـ)، تدلُّ كلها على أنَّ المخطط المصنَّب للمباني ذات الأواوين الأربعة وقيابها الأربعة المزخرفة بتأثير من التقويم التركيِّ بالرسوم النافرة للحيوانات والقمر والشمس، يبدو أنَّها كانت مستلهمة من تركستان، موطنهم السابق في آسيا، وكانت لها مساهمتها في العصر القوطيِّ في أوروبا. نظرًا إلى أنَّ بيمارستانات العصر السلجوقيِّ كانت تعمل في أثناء الحروب الصليبيَّة، فإنَّ لها أهميَّة كبيرة في تاريخ بيمارستانات العالم. ظلت دور العجزة، ودور الجُذام في الأناضول تعمل حتى العصر العثمانيِّ، من ضمنها تكيَّة قراجه أحمد في ضواحي مدينة أفيون، ومقبرة ملك دده في ناحية أناجق بالقرب من بوردور. ورد في مدوِّنة رحلة كلاويخو²⁰، السفير الذي بعثه ملك إسبانيا إلى تيمور، في أوائل القرن التاسع الهجريِّ/الخامس عشر الميلاديِّ، أنَّ في قرية بجوار أرضروم، المسمَّاة اليوم دلي بابا، تكيَّة تعود إلى العصر السلجوقيِّ، كان المرضى النفسيُّون فيها يُعالجون بالإيحاء. على باب هذا الـبيمارستان يُشاهد رسم شرَّابة وسمكة (ص 79). صورتا القمر والشمس المنحوتتان في "داري الشفاء" السلجوقيَّين في قيصريَّة وسيواس، يؤكد كلام كلاويخو. يتبيَّن من خلال أبحاث نافذ أوزلوق في السجلات الشرعيَّة في قونية، أنَّ المجذومين كانوا في هذه المدينة يُعزلون عن سائر المرضى، ومن ثمَّ يأتي طبيبان من بيمارستان علاء الدين لمعاينتهم، ويُنقلون إلى تكيَّة خنازيريان (ترزي أوغلو، 1978م، ص 1). تدلُّ ملفَّات مركز توثيق رئاسة الحكومة التركيَّة على وجود مؤسَّسات من هذا النوع في عصر السلاجقة، في كلِّ من قيصريَّة وسيواس وقسطنطيني وتوقاد (م. ن، ص 2). شيدَّ في الأناضول، فضلًا عن الـبيمارستانات، حمامات بحذاء ينابيع المياه المعدنيَّة، لمداواة المرضى. يمكننا تقسيم

¹⁸ - Juan

¹⁹ - Divriği

²⁰ - Clavijo

بيمارستانات عصر سلاجقة الأناضول إلى أربع مجموعات: 1) البيمارستانات السيّارة. فقد كان في جيش ملكشاه السلجوقيّ (حك: 465-485هـ) بيمارستان سيّار، يضمّ مائة جمل تحمل المرضى والأطباء والأدوات والتجهيزات الطبيّة (أونفر¹²، ص 11). كان أبو الحكم الباهليّ الأندلسيّ/المغربيّ (المتوفى سنة 550هـ) طبيب المستشفى السيّار التابع لمعسكر محمود (حك: 512-526هـ)، ملك العراق السلجوقيّ (القفطيّ، ص 405؛ ابن خلّكان، مج3، ص 123-124). كان أربعون جملاً ينقلون هذا المستشفى من مكان إلى مكان آخر. فضلاً عن ذلك، كان عزيز الدين أبو نصر أحمد بن حامد، قد أنشأ في معسكر محمود بيمارستاناً يُحمّل أطبّاءه وتجهيزاته على ظهور مائتي جمل (البنداريّ، ص 158). أبقى مماليك مصر على هذا التقليد الذي استتّه السلاجقة (المقريزيّ، مج2، ص 200؛ أحمد عيسى، ص 14-15). 2) بيمارستانات محطات القوافل. بناء على ما دوّنه القلقشنديّ (مج14، ص 152-157)، وابن فضل الله العمريّ (ص 10-14)، كان في الرباطات ومحطات القوافل في ديار السلاجقة، لا سيّما في الأناضول، بيمارستانات شغالة. تؤيّد ما صرّح به هذان المؤرّخان، شروط إجازة وصف الأدوية والأشربة الواردة في نصّ وقفيّة خان [= رباط] قرهتاي الواقع في ضاحية مدينة قيصريّة (← توران، ص 58). 3) البيمارستانات السلطانيّة. كانت نماذج من هذه البيمارستانات موجودة في مصر وإيران. فقد أقام صلاح الدين الأيوبيّ، بعد أن احتلّ القاهرة (657هـ)، مستشفى في جناح من قصر الفاطميّين في المدينة (أحمد عيسى، ص 76-77، البديسيّ، ص 98). وصلت عادة إنشاء بيمارستانات البلاطات في الديار العثمانيّة، وفي العصر المغوليّ، حتى الصين. 4) البيمارستانات العامّة. الأنموذج الأوّل من هذه البيمارستانات في مصر شيّده نظام الملك (← تتمة المقالة، قسم إيران). من هذا النوع بيمارستان تُنّش، باسم الملك تُنّش، ابن ألب ارسلان، الواقع مع المدرسة التُنّشيّة على الضفّة الشرقيّة لنهر دجلة (شترك²²، مج 1، ص 142؛ زاره- هرتسفلد³²، مج2، ص 161). الأنموذج الأكثر شهرةً من هذا النوع من البيمارستانات، هو البيمارستان العضديّ. كانت الطبابة في هذه البيمارستانات تترافق وتعليم الطبّ.

كان البيمارستان الذي أنشأه نور الدين زنكي في العام 549هـ باسمه في الشام، والذي اشتهر باسم البيمارستان الأعظم، يُحسب مركزاً طبياً فائق الأهميّة. أمّن نور الدين نفقات بنائه وتجهيزه من فدية ملك الفرنجة الذي أسر في أثناء الحروب الصليبيّة. قال ابن جبير الذي رآه بعد ثلاثين سنة من تأسيسه: "يوجد هنا بيمارستانان واحد قديم والآخر جديد؛ في الجديد أي بيمارستان نور الدين، يشرع الأطبّاء منذ الساعات الأولى بمعاينة المرضى، ويصفون لهم الأدوية اللازمة والأطعمة المسموح تناولها" (ص 255-256). يُرّجّح أن يكون البيمارستان القديم الذي أورد ابن جبير اسمه، هو البيمارستان الذي أنشأه دُقاق

²¹ - Ünver

²² - Streck

²³ - Sarre- Herzfeld

بن تُنْش السُلْجُوقِيّ (المتوفى سنة 498هـ) في باب البريد في الشام، لأنَّ ابن عساكر (المتوفى سنة 572هـ)، تحدّث عن بيمارستان دُقاق بن تُنْش (اليسيف⁴²، ص 267). بيمارستان نور الدين على نمط منازل أتراك آسيا الوسطى والمدارس السلجوقية بناءً ذو أربعة أواوين على شكل صليب ذي محورين حول باحة داخلية، وهو أقدم مستشفى سلجوقي حافظ على شكله الأصلي حتى اليوم، كما أنَّه المؤسسة الوحيدة التي قدّم ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء معلومات وافية حول تعليماتها الطبية؛ لأنَّ طبيب العيون هذا، ومؤرّخ علم الطبّ، المشهور، كان هو نفسه قد درس وتدرّب في هذه المدرسة في القرن السابع الهجريّ. فقد فصلّ الحديث عن أبي المجد بن أبي الحكم، الذي عيّنه نور الدين زنكي، رئيساً لأطباء المستشفى، ويقول عنه إنه كان يمارس الطبابة، ويعلم الطبّ في الوقت نفسه (ص 628).

- 1- الباحة ذات الأعمدة.
- 2- الإيوان الخاصّ بالمرضى الرجال.
- 3- غرفة المريضات.
- 4- غرفة المرضى الرجال في طور النقاهاة.
- 5- غرفة المريضات في طور النقاهاة.
- 6- مقرّ الممرّضين.
- 7- المطبخ والغرف الملحقة به.
- 8- المكان الذي توضع فيه التوابيت.
- 9- غرفة الغسيل.
- 10- مخزن التدفئة.
- 11- غرفة رئيس المستشفى.
- 12- غرفة الجراحين.
- 13- غرفة أطباء العيون.
- 14- مكان قراءة صلاة الميت (المصلّى).
- 15- الباحة ذات الأعمدة.
- 16- غرفة المرضى النفسيين من الرجال.
- 17- غرفة المريضات مرضاً نفسياً.
- 18- أحواض المياه.

د. أ. التركيّة، مقالة "Bimâristan"

خريطة أرضية بيمارستان قلاوون في القاهرة.

في البيمارستان الذي كان المنصور قلاوون قد أقامه في القاهرة في العام 683هـ، كان الطبّ يُعلم نظرياً وعملياً، كما كان الحال في بيمارستان نور الدين، ومعلومٌ أنَّه كان يضمّ مكتبة كبيرة، حُفظت فيها الكتب المهداة من ابن النفيس. أعاد قلاوون بناء هذا البيمارستان بعد إجراء تعديلات على أحد القصور

²⁴ - Elisséeff.

الفاطمية المسمى القطبية، والذي كان عدد ساكنيه ثمانية آلان نَسَمَة، على شكل مبنى ذي أربعة أواوين، ثم جعله مجموعةً بعد أن أضاف إليه ملحقات منها مدرسة الطب، والمقبرة الخاصة (المقريزي، مج2، ص 406-408؛ هرتس²⁵، ص 1-43). استخرج المهندس المعماري الفرنسي، باسكال كوست²⁶، مخطط هذا الليمارستان في العام 1232-1241/1817-1826م. هذا المبنى مؤلف- على أساس هذا المخطط- من أربعة أواوين، ونقطة تقاطعها المركزية مقببة السقف (أولياء شلبي، مج10، رقم 452، الورقة 45؛ ترزي أوغلو، 1968م، ص 91-97). في هذا الليمارستان المشهور أيضاً باسم الليمارستان المنصوري، كانت يتم علاج مختلف أنواع المرضى، حتى المجانين؛ وكان عدد كبير من الأطباء يقومون بتدريس طلبة الطب. كان هذا الموضوع، على حد علمنا، في القرن الحادي عشر أيضاً، أهم بيمارستان في العالم الإسلامي، ومركزاً طبياً (أحمد عيسى، ص 44-48). المؤسسة المهمة الأخرى العائدة إلى العصر السلجوقي، مجموعة مركبة من مدرسة الطب- المستشفى، كان غياث الدين كيخسرو السلجوقي وأخته جوهرنسب، قد بنياهما في قيصريّة متحاذيين (غانريل، مج1، ص 90). حافظ هذا المركز الطبي حتى اليوم على وضعه القديم، ويستخلص من شعر لسلطان ولد حول قيصريّة، احتمال أن يكون الحكيم والمنجم المعروف، قطب الدين الشيرازي، قد عمل فيه لمدة من الزمن (أوزلوق، ص 5).

أبدى الطبيب المعروف، عبد اللطيف البغدادي (المتوفى سنة 629هـ)، حين كان في أرزنجان في خدمة علاء الدين داوود بن بهرام شاه بني منغولك، رأيه بال "شفاخانه" [دار الشفاء]، التي كانت توران ملك، ابنة الملك، قد شيّدته باسمها، ولا يزال قائماً حتى الآن.

في العام 709هـ، في عهد السلاجقة الروم في آماسيه، شيّد مستشفى، خدم فيه، بعد ذلك صابونجي أوغلي شرف الدين، طبيباً وأستاذاً لمدة أربع عشرة سنة (ترزي أوغلو، 1991م، ص 28-32؛ ألوود 1970م، الصفحات العاشرة- الثانية عشرة).

معمارياً، العناصر المشتركة بين بيمارستان نور الدين في الشام (بني في العام 549هـ)، ومستشفى كيمريان، ودار الشفاء المسمى باسم جوهرنسب في مدينة قيصريّة، ومدرسة الطب المسماة باسم غياث الدين كيخسرو- التي حافظت كلها على شكلها الأصلي- هي: المبنى المصلب ذو المحورين المحيطين بباحة داخلية ذات أربعة أواوين.

بحث أندريه غودار عن منشأ المدارس والمساجد ومحطات القوافل ذات الأواوين الأربعة، في مبنى ذي أواوين أربعة في مدينة باميان في خراسان (يعود تاريخ بنائه إلى القرن الخامس الهجري)، كان على ما يبدو قصر تركان خاتون (المتوفاة سنة 487هـ) (الصفحتان الخامسة عشرة والسادسة عشرة، والصفحات 1-9).

²⁵ - Herz

²⁶ - Coste

عُثر كذلك في الحفريات في آسيا الوسطى على منازل مبناهما مصلب تتوسطه باحة مسقوفة بقبة. يجب عدّ هذا النوع من المنازل منشأ المدارس والمستشفيات ذات الأواوين الأربعة، والباحة المركزيّة المقببة السقف (بوغاتشكوف²⁷، ص 142-158)، مثل البيمارستان الذي بناه نور الدين زنكي في الشام في العام 549هـ، ولا يزال قائماً حتى الآن، ودار الشفاء الذي بنته توران ملك في ديفركي (سنة 626 هـ)، وبشكل خاص بيمارستان قلاوون في القاهرة (أنشي سنة 682هـ)، و"اوسبداله ماغيوره"⁸² [مستشفى ماغيوره] في ميلان (بداية التشييد: 862هـ/1457م؛ ترزي أوغلو، 1976م، مج2، ص 873-879).

لقد تركت البيمارستانات السلجوقيّة تأثيراً في البيمارستانات الأوروبيّة في عصر النهضة، من حيث الشكل الظاهريّ، ومن حيث الهندسة المعماريّة، والزخارف الداخليّة على حدّ سواء؛ مثلاً مستشفى سان بليز⁹² على الحدود الإسبانيّة- الفرنسيّة له قبة يمكن عدّها مقببة من قبة "دار الشفاء" توران ملك. كان شعار بيمارستان نور الدين زنكي، صورة زهرة زنبق، وهي نفسها شعار بيمارستان قلاوون. واستخدمت في زخرفة غرف المستشفى ذي الطبقتين في مدينة رودس، الذي بناه فرسان الهيكل الصليبيّون في العام 844-895هـ/1440م - 1489م. يُشاهد هذا الشعار أيضاً في بلاطات الملوك الفرنسيّين. بالإضافة إلى ذلك، يدلّ شبه خريطة مستشفى فرسان رودس بـ "دار الشفاء" السلجوقيّة ذات الطبقتين في توقاد، على الأهميّة الثقافيّة والتاريخيّة للبيمارستانات السلجوقيّة (ترزي أوغلو، 1975م، ص 828-829).

لم يبق تأثير البيمارستانات السلجوقيّة مقتصرًا على البلدان الأوروبيّة، وإنما تمدّد إلى مناطق أخرى أيضاً، من الشرق الأدنى حتى الشرق الأقصى؛ وقد ساهم المغول في العصر الإيلخانيّ في هذا التمدّد، بتشبيدهم بيمارستانات في عدد كبير من المدن، منها أماسيه وسيواس، وتبريز، وهمدان، وسلطانيّة، وشيراز، وبغداد، على نمط البيمارستانات السلجوقيّة.

بنى تيمور في سمرقند قصرًا وبيمارستانًا، حُوّل في ما بعد إلى مركز علميّ- ثقافيّ، من الجدير عدّه بعد بيمارستان تمغاج بغراخان، ثاني مركز صحيّ كبير في تلك المدينة (أغود، 1951م، ص 173). بنى شاهرخ، ابن تيمور، كذلك مستشفى في هراة. في عهد السلطان حسين بايقرا (873-911هـ) بنى الأمير عليشير النوائي، بمحاذاة قناة أنجل³⁰، مجموعة كبرى تضم قصره الخاصّ، وحدائق فيها برك، ومدرسة طبيّة وبيمارستانًا (د. أ. التركيّة، مج1، ص 352).

الهند والصين. كانت قد بُنيت في الهند قبل عهد البابرّيّين بيمارستانات كبرى، لم يبقَ منها أيّ أثر. فقد ذكر القلقشنديّ، أنّ سبعين بيمارستانًا كانت قائمةً

²⁷ - Pugachenkova

²⁸ - Ospedale Maggiore

²⁹ - Hospital Saint- Blaise

³⁰ - Incil

في عصر محمد بن تغلق (شيبس³¹، ص 29). ذكر محمد قاسم فرشته (مج1، ص 151)، أن السلطان فيروز أضاف إليها خمسة أبواب أخرى. كان يُعيّن للبيمارستانات أطباء متخصصون، من جراحين وأطباء عيون وغيرهم، وممرضون كذلك، ومراقبون للمرضى، وكانت الأدوية والأطعمة متوافرة مجاناً. كما أن أبواب هذه المستشفيات كانت مفتوحة أمام جميع الطبقات من دون استثناء. وكان فيروزشاه، يأخذ أموالاً من القرى التي تتجاوز مداخيلها حدًا معينًا، لتأمين نفقات المستشفيات. ورد الكلام مفصلاً في السيرة الفيروزشاهية (تأليفه سنة 772هـ) على الأدوية التي كانت تُستهلك في البيمارستانات وعلى تركيباتها. أسس السلاطين القطب شاهيون، محمد علي قطب شاه (حك: 988-1004هـ) في حيدر آباد، والنواب خير انديش خان في أتاه²³، بيمارستانات، وقد دَوّن الطبيب خير انديش خان كتابًا عن أطباء هذه المؤسسات اسمه قيروت التجاربي (صديقي، ص 168-169).

في قصر فتحبور السيكريّ بيمارستان كثير التجهيزات، لا يزال قائماً حتى الآن، كان مخصّصاً، كما ذكر طبيبه الإيطاليّ نيكولاؤومانوتشي³³، في القرن الحادي عشر الهجريّ/السابع عشر الميلاديّ، لمداواة سيدات الحريم (بورغهام، 1938م^{الف}، ص 2185-2186). كان في هذا البيمارستان اثنتا عشرة غرفة للمرضى، وعدد كافٍ من المراحيض، وأحواض الاستحمام، والمغاسل. تُعطي سقوفه المزخرفة، التي لا تزال محافظة على جمالها، فكرةً وافيةً عن الزخارف الفخمة لهذا البيمارستان السلطانيّ. لمنع أشعة الشمس من التسرب إلى غرف المرضى، بُنيت في مقابل الغرف أووين مزججة ومسقوفة. لا تزال المباني الإداريّة المخصّصة للأطباء، وحمّامات القصر كذلك، قائمة حتى الآن. كان جهانغير، ابن أكبر، قد أصدر أمرًا بإنشاء بيمارستانات في المدينة، لتطبيب الناس مجاناً. ولا تزال اطلال هذه البيمارستانات العموميّة، موجودة حتى الآن في أكره (م.ن، ص 2192).

ليس من السهل إثبات تأثير الطراز المعماريّ للبيمارستانات السلجوقيّة في بيمارستانات تيموريّ الهند؛ لكن، نظرًا إلى أن المغول قد أوصلوا العمارة السلجوقيّة إلى الصين، يمكن الإقرار بأنّ هذا التأثير كان مشهودًا في الهند. في عصر قوبيلاي قان (658-693هـ)، أنشيء في الصين ثلاثة بيمارستانات على الطراز المعماريّ السلجوقيّ، الذي كان سائدًا في تركستان وإيران، أحدها في قصر قوبيلاي في سياندو (تشنغتو)⁴³، والآخر في تاتو⁵³ (خانبالق/بكين). وكان هذان البيمارستانان موضوعان في الخدمة منذ العام 691هـ، بإشراف أطباء مسلمين. أمّا البيمارستان الثالث، فهو البيمارستان الملكيّ في بكين، الذي كان

³¹ - Spies

³² - Etawah

³³ - Niccolao Manucci.

³⁴ - Ciandu (chengtu)

³⁵ - Tatu

يُسَمَّى كوانغ- هوئي- شزه⁶³. فضلاً عن هذه البيمارستانات، كان الأطباء المسلمون، يعملون في الصيدليات الملكية الصينية.

العصر العثماني. تعود معظم البيمارستانات الإسلامية القديمة، إلى العصر العثماني. ففي المذكرات التي دونها البارون فنسلاف فراتيسلاف⁷³، عضو البعثة- النمساوية إلى إسطنبول في العام 1591/هـ 999م، أنّ بيمارستاناً قد أسس في مصنع قاسم باشا للسفن، لأفراد طاقم الأسطول العثماني. ويُستخلص من سجل المحفوظات، أنّه بالإضافة إلى بيمارستان ساقر آغاجي، وبيمارستان آينالي قواق التابعين لأسطول قاسم باشا البحري، كانت هنالك بيمارستانات للبحرية في كل من كريت والبصرة وبرفزه⁸³، وبيمارستانات لتطبيب العاملين في الأسطول في مصانع السفن في كل من غمليك، وإزميت، وإزنيق، وروسجق، وتولجي، وفدين، وسودا (في كريت)، والسويس، والبصرة (ترزي أوغلو، 1988م، ص 53- 61). كان العثمانيون يستخدمون البيمارستانات القديمة، ملتزمين بالمقررات الواردة في وقيّاتها. كذلك شيّدوا بيمارستانات جديدة في كل من بورصة، وأدرنه، واسطنبول، وسالونيك، وبلغراد، وبودابست. ورد في مذكرات الألماني يوهانس شيلتبرغر⁹³، الذي أسره الأتراك في معركة نيكبولي⁰⁴، ودخل في خدمة السلطان بايزيد [إيلدرم بايزيد] (حك: 791- 805هـ)، أنّه كان في بورصة، عاصمة الدولة العثمانية في ذلك الحين، ثمانية بيمارستانات، كان جميع المرضى يتلقون العلاج فيها، من دون أيّ تمييز على أساس ديني أو عرقي (ص 94). لم يبق اليوم من البيمارستانات الثمانية سوى بقايا جدار ارتفاعه متر واحد، من البيمارستان الذي كان الإيلدرم بايزيد قد شيّده بين العامين 792 و 796هـ. أعاد المهندس المعماري التركي تشتين تاش، رسم خريطة المبنى، بعد دراسة هذه البقايا (ص 38- 40). بعد أن وقع الاختيار على أدرنه عاصمة للدولة العثمانية، بنى السلطان مراد الثاني في هذه المدينة "دار الجذام"، وبيمارستاناً ملكياً باسم "خسته لر إوده سي" [دار المرضى= المستشفى] (ترزي أوغلو، 1979م، ص 58). في العصر العثماني، لا سيّما في إسطنبول، بُني العديد من البيمارستانات، أولها المسمّى "شفاخانه" [دار الشفاء]، وهو جزء من المجمع الذي بناه السلطان محمد الفاتح في العام 875هـ.

من البيمارستانات العثمانية المهمة: بيمارستان الخاصة في اسطنبول، مهندسها سنان (البناء: 945- 957هـ)، وهو لا يزال قائماً حتى اليوم؛ الشفاخانه [دار الشفاء] ومدرسة المجموعة السليمانية (البناء: 957- 964هـ)، وبيمارستان عتيق والده [بيمارستان الوالدة القديم] (البناء: 991- 995هـ). كانت تتم في هذه

³⁶ - Kuang-hui-Sze

³⁷ - Wenceslaw Wratisslaw

³⁸ - Preveze

³⁹ - Johannes Schiltberger

⁴⁰ - Niğbolu

البيمارستانات معالجة المرضى النفسيين أيضًا. كان يعمل في دار الشفاء، كما تنصّ وقفيّة المجموعة السلّيمانيّة، رئيسٌ للأطباء، وطبيبان، وطبّيبا عيون، وجراحان، وصيدلانيّان، ومساعدًا صيدلاني، وعدد كبير من العمّال، يتقاضون يوميًا من ثلاثة إلى ثلاثين آقجه [= عملة فضيّة]. وردت المعلومات المتعلقة بوضع البيمارستان التابع للمدرسة الطّبيّة، آونة الافتتاح، في كتاب طبقات الممالك ودرجات المسالك، تأليف جلال زادة مصطفى شلبي (الورقة 414). استمرّ تدريس الطبّ في هذا البيمارستان حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجريّ/التاسع عشر الميلاديّ، واستمرّ تطبيب المرضى فيه حتى القرن الرابع عشر الهجريّ/العشرين الميلاديّ (ترزي أوغلو، 1983-1984م، ص 28-33).

لم يبق حاليًا من البيمارستانات القديمة خارج اسطنبول، سوى "دار الشفاء" بايزيد الثاني (حك: 886-918هـ) في أدرنه (البناء: 889-893هـ)، ودار الشفاء السلطنة حفصة في مانيسا (مغنيسا)؛ هذا الأخير افتتح في العام 946هـ، وهو من أوقاف السلطنة حفصة زوجة السلطان سليم الأوّل (حك: 918-926هـ). حوّل هذا البيمارستان في الوقت الراهن إلى متحف صحّي. كان يعمل في هذا المستشفى كما تنصّ وقفيّته، رئيسٌ للأطباء، وجراح، وطبّيبا عيون، ومتخصّص بالأمرض النفسيّة، وصيدلانيّان، ومعاونًا صيدلانيّ، وممرضان، يعملان نهارًا وممرضان يعملان ليلاً، ومديرٌ، وأمين سرّ، وقصّار وطبّاخان. كان يحضّر في هذا المستشفى سنويًا ترياق⁴¹ اسمه "مسيرمغنيسا"، يوزّع على المرضى، وإذا وُجد فائض يوزّع على الناس. كان في اسطنبول في ذلك الحين كما يُستخلص من مذكّرات الصيدلانيّ رينولد لوبنو⁴²، أحد مرافقي رودولف الثاني، ملك النمسا، في أثناء سفره إلى اسطنبول (995هـ/1587م)، 110 بيمارستانات (ص 168)، يتسع معظمها لعدد من 150 إلى 300 مريض. كان بعضها يستقبل المرضى على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم، وبعضها كان مخصّصًا للمريضات. في الصفحتين 30 و 31 من الباب الثاني عشر من كتاب أنطونيوس منافينوس⁴³ الجنويّ- الذي نشره نيكولاوس هونيغر⁴⁴ في العام 981هـ/1573م في بازل⁴⁵، بعنوان <وصف المحافظة على قصور السلاطين العثمانيين والدولة العثمانيّة>⁴⁶ - يجري الحديث عن ال "تيمارخانة" [دار المجانين]، الذي كان السلطان بايزيد الثاني قد بناه في اسطنبول، وكان يُعالج في أحد غرفه الكبرى أربعين مريضًا نفسيًا كلاً على حدة، وكان فيه 150 ممرضًا. لكنّ من غير المؤكّد إن كان هذا المستشفى هو نفسه البيمارستان الذي بناه بايزيد الثاني في اسطنبول، أو مبنى آخر. تحدّث ويلهلم ديليش⁴⁷ أيضًا الذي زار

⁴¹ - mithridatikum

⁴² - Reinhold Lubenau

⁴³ - Antonius Menavinus

⁴⁴ - Nicolaus Höniger

⁴⁵ - Basel

⁴⁶ - Hofhaltung des türkischen kaisers und oltomanische Reiches Beschreibung.

⁴⁷ - Wilhelm Dilich

إسطنبول في بداية القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، عن بيمارستان بايزيد الثاني، بجانب مسجد بايزيد في إسطنبول. وأشار ديليش (ص 52) إلى بيمارستان آخر، كان السلطان سليم ابن السلطان سليمان القانوني، قد بناه في السنة الثالثة من جلوسه على عرش السلطنة، إنما لم يُعثر عليه حتى الآن. نذكر فضلاً عن هذه البيمارستانات، بيمارستان مجموعة السلطان أحمد الذي كان قد بُني في العام 1025هـ، وزال من الوجود في القرن المنصرم (ايوانسراي، مج1، ص 18-19).

أبرز سمات البيمارستانات العثمانية، أنها كانت دائماً جزءاً من مجموعة مؤلفة من المسجد والمدرسة و "العمارة" [إطعام خانية= المضافة= دار الإطعام]، وتابخانة [نوع من أنواع دور العجزة]، ومحطة القوافل [الخان]، والحمام، والسوق، و "النبع" [= خرّان مياه خيري]، ومبانٍ من هذا القبيل. يُلاحظ في البيمارستانات العثمانية استمرار التقاليد المعمارية السلجوقية (دار الشفاء إيلدرم بايزيد في بورصة، ودار الشفاء حفصة خاتون في مغنيسا)، لكن في بيمارستانات عصر التحديث شاع استخدام العناصر المعمارية الجديدة (مثل بيمارستانات إسطنبول، إنجاز سينان).

"دار الشفاء" بايزيد الثاني في أدرنة، إنجاز المعماري خير الدين أتر تاريخي نادر المثال في تاريخ البيمارستانات، كان يشكّل كما يقول أولياء شلبي (مج3، رقم 449، الورقتان 163 و 164) مع المدرسة المجاورة له، المختصة بتدريس الطبّ مركز النّقل في مجموعته، على العكس من المجموعات السابقة، التي كان المسجد في معظمها هو مركز النّقل. يدلّ التشابه بين الخصائص المعمارية لدار الشفاء جوهر نسب في قيصريّة، ومدرسة السلطان غياث الدين الطبيّة في جوارها، على أنّ التركيز في هذا البيمارستانات كان على الجانب العمليّ أكبر من الجانب النظريّ. يتألف هذا البيمارستان من مبنى رئيسيّ مسدّس الزوايا، فيه ستّ محوّطات مقبّبة، تحيط بمحوّطة مركزية قبّتها أكبر. في الباحة الصغرى المتّصلة بها، مبنى إداريّ هو على الأرجح المستوصف، وغرف الباحة المركزية الستّ، ومكان حجز المجانين الخطرين، والمطبخ وغرفة الغسيل. في القسم النهائيّ منه ممرّ يصل باحة البيمارستان بالمدرسة الطبيّة. يتضمّن المبنى الأساسيّ باحة مركزية، مسقوفة بقبّة، وفي وسطها حوض. لُحظ في محيط الباحة ستّة مواضع لإيواء المرضى في الشتاء، وستّة لإيواءهم صيفاً. يبدو أنّ الغرفة المقابلة للمدخل كانت غرفة موسيقى؛ فهي مبنية على نحو مجهّز صوتياً بالكامل. في العام 861هـ/1457م وضع أنطونيو فيلارته⁸⁴، خريطة مبنى اوسبداله ماغيوره [مستشفى ماغيوره] في ميلان، ولحظ فيه التهوية المركزية، وبعد ذلك بثلاثين عاماً بنى المهندس المعماريّ خير الدين في أدرنة، بأمر من السلطان بايزيد الثاني، دار الشفاء الذي يُعدّ الأوّل من نوعه من حيث التجهيز الصوتيّ لغرفة الموسيقى، ومن حيث تأمين التهوية المركزية على حدّ

سواء. يتحدّث شتورم⁹⁴ في <الدليل الكامل للمستشفيات المخصّصة للعجزة والمرضى>⁹⁵، الذي نُشر في أوغسبورغ في العام 1132هـ/1720م، عن التشابه بين مخطّط الأبراج ملاقيف الهواء التي كانت تقام فوق القبّة المركزيّة للبيمارستانات، والبرج الملقاف في دار الشفاء بايزيد الثاني. وذلك أنّ خير الدين حل مشكلة تهوئة الغرف من خلال وصل الغرف الصيفيّة ببرج التهوئة، وتجهيز الغرف الشتويّة بروازن [فتحات] لسحب الهواء (ترزي أوغلو، 1985 م، ص 16-24). لذا فإنّ أجهزة التهوئة في المستشفيات الأوروبيّة والأميريكيّة في القرن الثالث عشر الهجريّ/التاسع عشر الميلاديّ تشبه إلى حدّ كبير طرق التهوئة في دار الشفاء بايزيد الثاني في أدرنة (كون، ص 519، 884، الصورة 420، ص 941، الصورة 444).

في العصر الذي كان فيه المرضى النفسيّون في أوروبا يُحرقون، لُحِظت في دار الشفاء بايزيد الثاني في أدرنة، جميع التدابير اللازمة لتطبيب المرضى، ومن ضمنهم المرضى النفسيّون، وفوق ذلك غرفة موسيقى، كما جُهِز المستشفى بنظام تهوئة اقتصاديّ، يمكن أن يكون المثال الذي احتذته المستشفيات في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريّين/الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديّين.

شيّدت في أدرنة وإسطنبول بيمارستانات لرجال البلاط، سواءً الذين يعيشون داخل القصور والحرملك، والذين يعيشون في خارجها، لا تزال آثارها باقية حتى الآن، من بينها، "خسته لِق اوده سي" [غرفة المرضى]، التي كانت قد جُهِزت في عهد السلطان سليمان القانونيّ في قصر طوبقابي سراي لـ "البستانيين" [= حرس السلطان؛ ← بُستانجي*] وظلّت حتى العام 1248هـ، تاريخ هدمها، تعمل باسم "دار الجراحة العامرة"، كمدرسة عليا متقدّمة للجراحة.

من ضمن البيمارستانات العديدة التي كانت قد أُسّست في قصر طوبقابي سراي، لم يبق سوى البيمارستان الذي شيّد بأمر من السلطان محمّد الفاتح، وصار على صورته الحاليّة في القرن العاشر الهجريّ، في زمن السلطان سليمان القانونيّ. كان هذا البيمارستان يُسمّى "جاريه لر خسته خانه سي" [مستشفى الجوّاري]، ومخصّص لتطبيب نساء الحرملك. هنالك شبه كبير من حيث الخصائص المعماريّة، بين المستشفى الملكيّ بالهاوس بلاتس¹⁵ في فيينا في القرن العاشر الهجريّ/السادس عشر الميلاديّ، ومستشفى سانت ياكوبس [القديس يعقوب] في درسدن²⁵ (البناء: 943هـ/1536م)، ببيمارستان الإيلدرم [السلطان] بايزيد في بورصة.

⁴⁹ - L. ch. Sturm

⁵⁰ - Vollständige Anweisung spitäler für Alte und kranke.

⁵¹ - Balhausplatz

⁵² - Dresden

في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي كانت
البيمارستانات العثمانية منتشرة في جميع أنحاء الدولة العثمانية من بودابست
حتى كريمة، ومن سالونيك حتى مكة، وكانت تعمل كلها، وبلغت عصرها
الذهبي في عهد السلطان محمد الرابع (1058-1098هـ) (أولياء شليبي، ط.
دانيشمان، مج10، ص35، مج11، ص216، مج12، ص1080، مج14، ص266). ففي تلك
الآونة كان في اسطنبول وحدها 183 مستشفى تستقبل المرضى (← شترن⁵³، ص
100-101).

في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، بدأ تجهيز المستشفيات الحديثة
على النمط الأوروبي، والمراكز الطبية-التعليمية العصرية.

تبيّن الرسالة المؤرخة في 18 ذي القعدة 1219هـ [17 شباط 1805م]،
المرسلة من وزير "البحرية" إلى "الباب العالي" (سجل محفوظات الولايات
العثمانية، جودت- البحرية، رقم 1259)، المتعلقة بتعيين رئيس الأطباء،
ورئيس الجراحين لـ "الأوسبيتاليا"⁵⁴ [المستشفى]، أن هذه المؤسسة كانت
مركزاً تعليمياً حديثاً، أسست بهدف إعداد الأطباء والجراحين للخدمة في
"ترسانة قاسم باشا العامرة" [مصنع السفن]. في الثالث من ذي الحجة من العام
1254هـ/1838م، تقليداً ليوزفينوم⁵⁵ في فيينا، افتتح في غلطة سراي [قصر
غلطة] "مكتب طبية عدلية شاهانه" [مدرسة الطب الملكية العدلية]، لتدريس
الطب الحديث، مع مستشفى تعليمي تابع لها (ترزي أوغلو، 1990م، ص129-133).
في العام 1258هـ/1842م، استدعي الدكتور لورنتس ريغلر⁵⁶ النمساوي إلى
اسطنبول لعصرنة المستشفيات العسكرية؛ فأعاد تجهيز البيمارستان العسكري
في محلة مال تبه، الذي كان قد شيّد في زمن السلطان محمود الثاني، على طراز
اليوزفينوم في فيينا، وكان له دورٌ كبيرٌ في مخطّط الأبواب الستة للبيمارستان
العسكري الجديد وتجهيزه. في العام 1259هـ/1843م، أنشأت والدّة السلطان
عبد المجيد بيمارستان "المسلمون الغرباء"، تقليداً على الأرجح لـ "الجمينه
كرانكنهاوس"⁵⁷ [البيمارستان العمومي] في ميونيخ، وكان أول مستشفى
عموميّ عثمانيّ جديد. كذلك فإنّ بيمارستان أطفال الحميدية، الذي افتتح في
العام 1317هـ/1899م في محلة شيشلي، هو مستشفى حديث للأطفال، على
غرار مستشفى الأطفال كايزر وكايزرين فرديش⁵⁸ في برلين. بدأ بعد هذه
المؤسسات إقامة البيمارستانات التركية الجديدة، وحل الاسم "خسته خانه" محل
الأسماء: بيمارستان، بيمارخانه، تيمارخانه، شفاخانه، ودار الشفاء.

المصادر والمراجع: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء،
ط3. نزار رضا، بيروت 1965م؛ ابن بطوطة، الرحلة، بيروت [لا تا.]; ابن

⁵³ - Stern

⁵⁴ - Spitalia/Hospital

⁵⁵ - Josefinum

⁵⁶ - Lorenz Rigler

⁵⁷ - Allgemeine Krankenhaus

⁵⁸ - Kaiser und Kaiserin Friedrich Kinderkrankenhaus.

جُبَيْر، الرحلة، بيروت 1400هـ/1980م؛ ابن خَلْكَان، وَفَيَات الأعيان، ط.
إحسان عبّاس، بيروت 1968-1972م؛ ابن دقماق، كتاب الانتصار لواسطة
عقد الأمصار، بولاق 1310هـ/1893م، ط. أوفست بيروت [لا تا.]; ابن فضل
الله العمريّ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط. تشنر، لايبزيغ 1929م،
فيسبادن 1968م؛ ابن النديم، الفهرست، ط. رضا تجدد، طهران 1350ش [1971م]؛
ابن هشام، السيرة النبويّة، ط. مصطفى السقا و ابراهيم الأبياريّ،
وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة 1375هـ/1955م؛ محمّد ظلي بن درويش أولياء
شلبي، سياحتنامه [مدونة الرحلة]، النسخة الخطيّة في المكتبة السليمانيّة، [قسم]
بشير آغا، رقم 449، 452؛ حسين إيوانسرايي، حديقة الجوامع، اسطنبول
1281هـ؛ [شرف الدين بن شمس الدين البديسيّ، شرفنامه: تاريخ مفصل
كرديستان، ط. محمّد عبّاسي، ط. أوفست طهران 1343ش [1964م]؛ فتح بن
عليّ البنداريّ، تاريخ السلالة السلجوقيّة: زبدة النصره ونخبة العصرة، النسخة
الفارسيّة، ترجمة محمّد حسين الخليليّ، طهران 1356ش [1977م]؛ مصطفى
شلبي جلال زادة، طبقات الممالك ودرجات المسالك، النسخة الخطيّة في المكتبة
السليمانيّة، [قسم] آيا صوفية، رقم 3296؛ محمّد بن إبراهيم الزركشيّ، تاريخ
الدولتين، تونس 1289هـ؛ أحمد بن خالد السلاويّ، كتاب الاستقصا لأخبار دول
المغرب الأقصى، ط. جعفر نصريّ ومحمّد نصريّ، الدار البيضاء 1954-
1956م؛ حسن عبد الوهّاب، "الطبّ العربيّ في أفريقيّة"، مجلة الفكر العربيّ،
مج3، العدد 10 (1958م)؛ أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام،
دمشق 1357هـ؛ [محمّد قاسم بن غلامعليّ فرشته، تاريخ فرشته، أو كلشن
ابراهيمى] الروضة الإبراهيميّة، لكهنو 1281هـ؛ عليّ بن يوسف القفطيّ،
تاريخ الحكماء، وهو مختصر الزوزنيّ المسمّى بالمنتخبات الملتقطات من
كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ط. ليبرت، لايبزيغ 1903م؛ أحمد بن عليّ
القلقشنديّ، صبح الأعشى، القاهرة 1910-1920م؛ عبد الواحد بن عليّ
المراكشيّ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط. دوزي، ليدن 1881م؛ عليّ
بن الحسين المسعوديّ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط. محيي الدين عبد
الحميد، القاهرة 1367هـ/1948م، بيروت 1384-1385هـ/1964-1965م؛
أحمد بن محمّد المقرّيّ، نفح الطيب، ط. إحسان عبّاس، بيروت 1388هـ/1968م؛
أحمد بن عليّ المقريزيّ، كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار،
بولاق 1270هـ؛ أحمد بن إسحق اليعقوبيّ، كتاب البلدان، ط. دخويه، ليدن
1892م؛

أجنبيّ...

/إرسالن ترزي أو غلو ملخصًا من (د. أ. د. التركيّة)/

إيران. بيمارستان جنديسابور، أقدم بيمارستان إيرانيّ، تتوافر المعلومات
عنه. من الصعب إبداء رأي حاسم حول تاريخ تأسيسه، وبانيه، ومدرسته الطبيّة

الشهيرة، لكن ما حكاه الفريديسي (مج7، ص 252) عن إعدام ماني شنقا مقابل بيمارستان جنديسابور، يدل دلالة قاطعة، على أساس الرواية المتداولة على الأقل في عصر الشاعر، أن هذا الـبيمارستان كان موجودا في عصر سابور الثاني (309 أو 310 - 379م) (قارن الدينوري، ص 47). سرعان ما وسع هذا الـبيمارستان في عصر كسرى أنوشروان (531 - 579م)، بمساعدة السريان النساطرة، وحظي بالشهرة، ووصل إلى أوج مجده وعظمته (إقبال الآشتياني، ج1، ص 216؛ دانلب، ص 219؛ قارن كريستن سن، ص 445؛ الغود، ص 46-47). بعد أن دخل الإسلام خوزستان (البلاذري، ص 370 وما بعدها) لم يلحق أي أذى بالمدرسة ولا بالبيمارستان (نصر، ص 396). والظاهر أن المسلمين كانوا يعرفون هذه المدينة وبيمارستانها من قبل، فبعد وقت وجيز، استدعى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحارث بن كلدة، الذي كان قد تلقى العلم في جنديسابور لتطبيب أحد الصحابة في الحجاز (ابن جلد، ص 54؛ قارن الغود، م. ن، ص. ن؛ نسيمي، ص 823، الذي سمى آخرين من العرب تلقوا العلم في جنديسابور). استطاع هذا الـبيمارستان، الذي فقد بعد سقوط الساسانيين دعم الحكومة المركزية المالي والمعنوي، أن يصمد ثلاثة قرون بعد ذلك، بفضل جهود أطبائه وأساتذته وإيرانيي الناحية، وأن يتحول إلى أهم صلة وصل بين الثقافة الإسلامية الناشئة وبين الحضارات الإيرانية والهندية واليونانية، وأن يكون أول مركز طبي في الحضارة الإسلامية. علما أن هنالك إشارات إلى علاقة أطباء بيمارستان جنديسابور ومدرسته ببلاط الخلفاء الأمويين (عيسى، ص 63)، لكن علاقة هذا الـبيمارستان الرسمية بعاصمة الخلافة الإسلامية بدأت في عهد المنصور العباسي الذي استدعى الطبيب جورجيس بن بختيشوع، رئيس بيمارستان جنديسابور إلى بغداد، لمعالجته (القفي، ص 158-159). منذ ذلك الحين بدأ أطباء جنديسابور، لا سيما ذوو المكانة الرفيعة من عائلة بختيشوع تدريجيا بالانتقال إلى بغداد، حيث نالوا الحظوة لدى الخلفاء والوزراء، كما نالوا تقدير الناس واحترامهم (← الجاحظ، ص 145). يمكننا أن ندرك كذلك أهمية بيمارستان جنديسابور، من تسمية جنديسابور باسم "مدينة بقراط" (براون، ص 23). لا تتوفر معلومات عن تاريخ انهيار بيمارستان جنديسابور، الذي استمر ناشطا على الأقل إلى حين وفاة سابور بن سهل (255هـ)، آخر من ذكر اسمه رئيسا لهذا الـبيمارستان (ابن النديم، ص 355).

يُعدّ التنظيم الإداري والعلمي للبيمارستانات الإيرانية في المرحلة الإسلامية، الذي كانت نشأته في جنديسابور، ومنها انتقل إلى سائر أنحاء العالم الإسلامي، من أرقى نماذج المؤسسات العامة في الشرق الإسلامي، لا سيما في إيران. وعلى الرغم من أن الذين كانوا يتولون الإشراف العام على الـبيمارستانات، لم يكونوا من ذوي الاختصاص، كان "الساعور" (القفي، ص 397) أو "متولي" الـبيمارستان، أو في الحقيقة المدير الداخلي له، أحد الأطباء دائما، وهو الذي يتولى رئاسة الأطباء الآخرين. كانت الـبيمارستانات الكبرى

تقسّم إلى قسمين رئيسيين: قسم المرضى العابرين، وقسم المرضى النزلاء؛ المرضى العابرون يذهبون بعد أن يعاينهم الطبيب إلى صيدلية المستشفى للحصول على الدواء (ابن أبي أصيبعة، ط. القاهرة، مج2، ص 243)، أمّا المريض الذي يجب، بعد تشخيص الطبيب، أن يتلقّى العلاج في المستشفى، فيُنقل إلى القسم الخاصّ بمرضه، وفي كل قسم من هذه الأقسام، بما فيها قسم الأمراض الداخليّة، والتجبير، والجراحة، وطبّ العيون (← م. ن، مج1، ص 254، 310)، عددٌ من الأطباء والمساعدين والخدم مناسبٌ لأهميّة المرض ولعدد المرضى، وكان هنالك عدد من العاملين يخدمون في البيمارستانات بصفات مختلفة، مثل "الوكيل"، و "الناظر"، و "أمين الخزانة"، و "الحارس" (ابن الجوزي، مج7، ص 112). فضلاً عن هؤلاء كان هنالك أيضاً أشخاص يُشرفون على أموال الوقف، وعلى وجوه إنفاقها (ابن أبي أصيبعة، ط. بيروت، مج2، ص 203).

كانت البيمارستانات في معظم الأحيان، تُدار من ريع الأوقاف الكثيرة، التي كان يقفها عليها مؤسسوها، أو بهبات الأمراء والوزراء والأثرياء، أو الأسهم التي يقرّرونها لها في وصيّاتهم. ومن هذه السبل نفسها كانت تؤمّن رواتب الأطباء والعاملين، ونفقة علاج المرضى وأثمان أدويتهم، ونفقات استشفائهم وإطعامهم. كان البيمارستان، الذي يُبنى عادةً في نقطة من أفضل نقاط المدينة طيبَ مُناخ، ووفرة مياه، يتضمّن فضلاً عن الأقسام الاستشفائيّة المتعدّدة، جناحاً لإقامة الأطباء، وطلبة الطبّ (على سبيل المثال ← رشيد الدين فضل الله، 1977م، ص 224، 234). إنّ إقامة الأطباء قرب البيمارستان من الظواهر المهمّة في تاريخ البيمارستانات، فقد كان البيمارستان فضلاً عن وظيفته العلاجية والاستشفائية، يُعدّ المركز الأساسي لتعليم الطبّ (← الطبّ*)، ويلغي الفرق بين الطبّ النظريّ والطبّ التجريبيّ والعملّي. فضلاً عن البيمارستانات الكبرى المعروفة، كان لدى جميع المدارس ذات الأوقاف، حتى العصور المتأخّرة، مستشفى، فيه أطباء موظفون، يتولون معالجة المرضى وتعليم الطلبة (نفيسي، ص 19). من الظواهر اللافتة الأخرى، المستشفيات السيّارة أو "المحمولة"، التي كانت تقدّم خدمات جُلّي، لا سيّما في أثناء الحروب، أو نقشي الأوبئة. كانت هذه البيمارستانات وملحقاتها، بما في ذلك الطبيب والمرضى والصيدليّة، والآلات والأدوات الطبيّة، والجراحية، وحتى ثياب المرضى، تُحمّل كلّها على الدوابّ (عماد الدين الكاتب، ص 124). هذه المستشفيات السيّارة، كانت تتفقد حتى السجون، كما كانت تُرسَل أحياناً بأمر أحد الأمراء إلى النواحي البعيدة لتطبيب الناس من مختلف الطبقات، من المسلمين وغير المسلمين (نفيسي، ص 21).

كانت تأسيس البيمارستانات في إيران بعد الإسلام أمراً شائعاً، مع ذلك فإنّ المعلومات عن أوّل البيمارستانات في هذه المرحلة ضحلة جدّاً، كما أنّ تحديد تاريخ تأسيسها أمرٌ صعب. لأنّ هذه المؤسسات تكون على الأرجح صغيرة في بداية الأمر، وغير ذات أهميّة، ومن ثمّ تتوسّع، وتصبح ذات أهميّة. فالمستشفى الشهير - الذي تولى الرازي رئاسته أكثر من مرّة - يمكن حسبانه

استنادًا إلى الآثار والقرائن التاريخية والجغرافية، عائدًا إلى عصر ما قبل الإسلام (كريمان، مج2، ص362)، إنَّما لا يمكننا تحديد تاريخ بعينه. كان في زرنج من نواحي سيستان بيمارستان أيضًا، بنى عمرو بن ليث أصفاري بجانبه سوقًا، وقف قسمًا من مداخلها عليه (الأصطخري، ص241). والظاهر أنَّ هذين المستشفين كانا من أقدم المستشفيات الإيرانية بعد الإسلام (نجم آبادي، مج2، ص768). يمكننا أن نذكر بعدهما المستشفى العضدي في شيراز، الذي أسَّسه عضد الدولة الديلمي. في الحقبة نفسها، كان في إصفهان بيمارستان مهم، يُطبَّب فيه ابن مندويه الإصفهاني، أحد الأطباء المشهورين في القرن الرابع الهجري (ابن أبي أصيبعة، ط. القاهرة، مج2، ص21-22)، وهذا البيمارستان يعود ربَّما إلى العصر البويهِّي (نجم آبادي، م. ن، ص. ن).

في ذلك الحين، بُني في ترمذ بيمارستان جعلت له أوقاف خاصَّة، بفضل أبي الحسن محمد بن الحسن (ابن حوقل، ص454-455). في فيروزآباد من نواحي فارس، كان هنالك أيضًا بيمارستان مهم، أتى على ذكره ابن البلخي (ص139). في القرن الخامس الهجري، كان في المدن الإيرانية عددٌ من البيمارستانات العاملة، تتوافر معلوماتٌ عن بعضها. فقد بنى أبو سعيد النيسابوري الملقَّب بالخركوشي (المتوفى سنة 407هـ)، أحد الفقهاء الزهَّاد في ذلك العصر، بيمارستانًا في نيسابور (الأسنوي، مج1، ص228-229)، ربَّما يكون هو نفسه البيمارستان الذي سكن الخطيب السمرقندي في حديقته، في العام 409 هـ، حين قدَّم إلى نيسابور (الصريفيني، ص214).

بنى الخواجة نظام الملك أيضًا بيمارستانًا كبيرًا في نيسابور (السبكي، مج4، ص314)، قيل إنَّ نفقاته اليومية بلغت ألف دينار - من صندوق الصدقات - (عيسى، ص268، نقلًا عن ابن المُلقَّن). كان في خوارزم كذلك بيمارستانًا رآه ابن بطوطة في العام 733هـ، وذكر اسم طبيبه المدعو الصهيوني (ص366). كان في مرو كذلك بيمارستان يُطبَّب فيه عيسى بن ماسه (ابن البيطار، مج2، ص15).

في القرن السابع الهجري بُني في شيراز عاصمة أتابكة فارس عدَّة بيمارستانات كبيرة وذات أهمية بأمر من اثنين من وزراء هذه العائلة. فقد بنى كل من الأمير مقرب الدين مسعود والأمير فخر الدين أبي بكر، وزيرَي أبي بكر بن سعد بيمارستانًا، وجعلا له أوقافًا (زرکوب الشيرازي، ص59-60). في الحقبة نفسها بُني أيضًا البيمارستان المظفري في شيراز، اشتغل فيه العلامة قطب الدين الشيرازي، الطبيب والفيلسوف الشهير لمدة عشر سنوات (الفسائي، مج2، ص1148-1149). في ذلك الحين، بُني أيضًا في يزد البيمارستان صاحبِي الكبير، باسم الخواجة شمس الدين محمد صاحب الديوان، الذي عيَّن مكانًا لتأمين نفقات الأطباء والمرضى، ووقف قسمًا من قرية عليه (الجعفري، ص111-113). ورد كذلك ذكرُ بيمارستان في كرمان، بنته قُتلغ ترکان خاتون، ملكة كرمان، القراخطائية المعروفة، وزوجة قطب الدين محمد (نفيسي، ص18). لكنَّ البيمارستان الإيراني الأكبر في القرنين السابع والثامن الهجريين، هو الذي بناه

رشيد الدين فضل الله الهمداني وزير غازان خان كان هذا اليمارستان الذي بناه في تبريز في الربع الرشيدى، يتضمّن أجنحة إستشفائيّة عديدة، وصيدليّة، ومساكن للأطباء والعاملين، وأورد في وقفيته، أن يقوم الأطباء العاملون فيه بتدريس الطبّ أيضاً (ص 180-183). كان هذا اليمارستان أحد اليمارستانات، التي طلب رشيد الدين فضل الله من ابنه جلال الدين في آسيا الصغرى، أن يُرسل إليها خمسمائة من [المنّ معيار قديم يُكّال به أو يوزن وقدره إذ ذاك رطلان بغداديان] من الأدوية المختلفة (نفسه، 1979م، ص 92؛ قارن براون، ص 105). جمع رشيد الدين في هذا اليمارستان فريقاً من الأطباء المهرة من مختلف أنحاء العالم الإسلاميّ، واختار لكل منهم مساعدين من طلبة الطبّ (نفسه، 1977م، ص 224). كانت مساكن الأطباء تقع في محلّة الصالحيّة بالقرب من اليمارستان (م. ن، ص 180). الأوصاف المفصّلة لأوقاف بيمارستان تبريز، مدوّنة في وقفيّة الربع الرشيدى. أعاد رشيد الدين كذلك العمل في اليمارستان الأتابكيّ في شيراز، الذي كان في حالة انهيار، وعيّن الطبيب محمود بن إلياس الشيرازيّ مشرفاً عليه، كما أطلق العمل أيضاً من جديد في بيمارستان همدان (الغود، ص 312).



الصور لهما عدالت ونيماء جهانبين

قنطرة مدخل خرائب بيمارستان مرسلين (أول بيمارستان في كرمان).

الظاهر أنّ تلك الجهود الحثيثة، لم تقلح في تحسين أوضاع اليمارستانات التي بدأت تتدهور تدريجيّاً. فعلى الرّغم من أنّ تيمور كان قد أصدر أمراً بإنشاء مستشفى واحد على الأقلّ في كلّ مدينة من المدن الواقعة في نطاق حكمه (تيمور الغوركانيّ، ص 368، 370)، آلت هذه المؤسّسات إلى الانهيار، واستمرّ الوضع على هذا النحو في العصر الصفويّ، وكما قال رافاييل دومانس⁹⁵، كان الناس على الرّغم من وجود مستشفى أو اثنين في كلّ مدينة من المدن الكبرى، لا يعيرونها اهتماماً، حتى أنّهم كانوا يسمّونها "دار الموت" (الغود، ص 398). أدّت الاضطرابات السياسيّة والعسكريّة الداخليّة والخارجيّة في أواخر العهد الصفويّ، والتي امتدّت حتى العصر القاجاريّ، دفعةً واحدةً إلى انهيار اليمارستانات الإيرانيّة، ونهب أوقافها الواسعة والقيّمة. فقط، ابتداءً من عصر فتحعلي شاه القاجاريّ وما بعده، ظهرت بيمارستانات تعدّ على الأصابع هنا وهناك، على النمط القديم، لا يمكن على الإطلاق مقارنتها من حيث التنظيم الإداريّ، والطبيّ باليمارستانات الكبرى المهمّة في العصور السابقة. فضلاً عن اليمارستان الذي بناه فتحعلي شاه في طهران، والذي هُدم حين شقّ شارع بوذرجمهري (نفيسي، ص 3)، في عصر ناصر الدين شاه، خصّص أيضاً الحاج

⁵⁹- Raphael Du Mans.

الميرزا حسين خان السبهسالار الأعظم، في وقفية مبنى المدرسة الناصرية، التي عُرفت في ما بعد بمدرسة سبهسالار، قسماً من المبنى للبيمارستان (م.ن، ص 19). منذ ذلك الوقت وإلى حين تأسيس البيمارستان الإيراني على النمط الحديث في طهران، ليس في متاولنا معلومات عن إنشاء بيمارستانات في إيران، باستثناء بيمارستانات البعثات التبشيرية والأجنبية.

البيمارستانات الحديثة. في الحقبة نفسها التي تهدمت فيها البيمارستانات الإيرانية، وآلت إلى الزوال، بدأت بعض الدول الأوروبية الساعية إلى بسط نفوذها في سواحل الخليج الفارسي والمحيط الهندي، مباشرة، أو بواسطة الشركات التجارية، أو الخدماتية التابعة للبعثات الدينية المرتبطة بها، بتأسيس البيمارستانات في المدن والسواحل الإيرانية. يجب عدّ تأسيس هذه البيمارستانات، على الرّغم من أنّها كانت في البداية صغيرة، ولم تحظ بترحيب يُذكر من السكّان المحليين، مقدّمة دخول الطبّ الأوروبي إلى إيران. من الواضح أنّ إدارة تلك المراكز العلاجية كانت في أيدي منشئها، وفي معظم الأحيان كانوا هم الذين يتولون الإنفاق عليها. أوّل بيمارستان تبشيري في إيران، قبل احتلال القوّات الإيرانية-الإنجليزية في العام 1032هـ/1622م جزيرة هرمز، بناه البرتغاليون في تلك الجزيرة. قدّم هذا البيمارستان المسمّى "ميسري كورديا"⁶⁰، والذي كان بإدارة رهبان فرقة أوغسطين، الكثير من الخدمات الخيرية، وذات المنفعة العامة، شاهد جان فراير⁶¹، طبيب شركة الهند الشرقية، في أواخر العصر الصفوي في العام 1088هـ/1677م، في قرية صغيرة بالقرب من ميناء عُمبرون (بندر عباس)، بيمارستانين جميلين ونظيفين. كان الهولنديون قد بنوا أحدهما، والآخر بناه مصرفيّ هنديّ يعمل في خدمة شركة الهند الشرقية (ألغود، ص 399). فقد أسّست هذه الشركة في عدد كبير من موانئ الخليج الفارسي المهمة محاجر صحية [قرنطينات] ومستشفيات، وافتتحت حوالى العام 1140هـ/1727م مستشفى صغير في عُمبرون، تولّى رئاسته الدكتور فوربر⁶². كان بيمارستان البصرة على ما يبدو أهمّ المراكز العلاجية التابعة للشركة، وقد نُقل إلى بوشهر بعد أن قرّر كريم خان الزنديّ شنّ حملة على البصرة (م.ن، ص 408، 431). بعد أن بسطت الحكومة البريطانية رسمياً سلطتها في المنطقة بدلاً من الشركة، تولّى إدارة هذه البيمارستانات ممثلو هذه الحكومة السياسيون. في أوائل القرن الثالث عشر الهجري/أواخر القرن الثامن عشر الميلاديّ أسّس أيضاً "المندوب الدائم" للحكومة البريطانية بيمارستاناً في بوشهر (رايت، ص 122). أسّست شركة البرق الهندوأوروبية⁶³، التي كانت في أيدي الإنجليز في بعض نواحي الخليج الفارسي الساحلية مستوصفات

⁶⁰ - Misericordia

⁶¹ - J. Fryer

⁶² - Anthony Forbes.

⁶³ - Indo-European Telegraph

وصيدليّات. تُحسب المحاجر الصحيّة [القرنطينات] الحدوديّة الإنجليزيّة في الموانئ الإيرانيّة أيضًا من ضمن المراكز العلاجيّة الجديرة بالذكر، في بداية تأسيس البيمارستانات الحديثة في إيران. كانت هذه القرنطينات تقدّم في الموانئ التي تخلو من البيمارستانات والأطباء، خدمات جليّ، وكانت بالإضافة إلى مهمّاتها تقوم بمعالجة المرضى المحليّين، لا سيّما الفقراء (سديد السلطنة، ص 169). أسّس الروس كذلك، الذين كانوا يسعون لإيجاد منطقة نفوذ لهم، أوّل بيمارستان في العام 1264هـ/1848م لملاحى سفنهم، وحصلوا على امتياز إنشاء بيمارستان آخر في استرآباد (أغود، ص 512؛ تيموري، ص 269-273). مع ذلك لم يؤدّ هذا النوع من البيمارستانات إلى انتشار البيمارستانات الحديثة في إيران. وذلك على الرّغم من أنّ طبيب بعثة الجنرال غوردن الفرنسيّ، قد أسّس في عصر فتحعلي شاه القاجاريّ مركزًا علاجيًّا في العاصمة (أغود، ص 441)، فإنّ التأسيس الرسميّ للبيمارستانات الحديثة في إيران بدأ في عصر ناصرالدين شاه.

في العام 1288هـ/1871م، أمر حسين خان مشيرالدولة سبهسالار، نفيسي ناظم الأطباء بإنشاء أوّل بيمارستان إيرانيّ في طهران على النمط الحديث. أسّس هذا البيمارستان في شارع خارج المدينة [اشتهر في ما بعد باسم شارع البيمارستان] (نفيسي، ص 19-20). بنى نفيسي أيضًا، بأمر من سبهسالار، بيمارستانًا حديثًا في مشهد، سُمّي دار الشفاء وظلّ مدةً طويلةً المستشفى الوحيد في مشهد (حكيم الممالك، ص 259؛ نفيسي، م. ن، ص. ن). في العام 1300هـ أسّس الدكتور جوزيف كوتشران، عضو البعثة التبشيريّة الأميركيّة في أرومية بيمارستانًا في هذه المدينة باسم "وست مينستر"، وقام بتدريس الطبّ فيه (إيرانشهر، مج2، ص 1449). افتتح في طهران أوّل بيمارستان أميركيّ، كان مركزًا تعليميًّا أيضًا في العام 1311هـ/1893م، وظلّ يعمل حتى العام 1359هـ/1941م. حيث توقّف عن العمل مع بدء الحرب العالميّة، وندرة الأطباء (م. ن، مج2، ص 1449-1450هـ). لكنّه بعد مدّة استعاد فاعليّته، وظلّ بإدارة الأميركيّين حتى أواخر العام 1397هـ/1978م، تاريخ انتصار الثورة الإسلاميّة.

وسّعت البعثة الإنجليزيّة التابعة لـ "هيئة المبشرين المسيحيّين، لندن" أنشطتها الطبيّة في جنوبيّ إيران، بسبب اهتمام الحكومة البريطانيّة بهذه المنطقة، وبنّت بيمارستانات مخصّصة للرجال وللنساء في كل من إصفهان وكرمان ويزد وشيراز، كانت المستشفيات الأولى في هذه المدن (رايت، ص 118-122). أسّس أوّل بيمارستان تبشيريّ، في جلفا، في حيّ الأرمن، وفي العام 1312هـ/1894م بدأ دورةً جديدةً من فاعليّته، مع قدوم الدكتور كار⁶⁴ إليه. كذلك أسّست السيّدّة ماري برد⁶⁵ مستوصفين في ناحيتين من إصفهان، سرعان ما توقّفا عن العمل (أغود، ص 534). بعد تأسيس مركز المبشرين المسيحيّين في

⁶⁴ - D. W. Carr

⁶⁵ - Mary Bird

منطقة جلفا في إصفهان، بنى أعضاء البعثة، في حرم البعثة الواسع في العام 1314هـ/1896م بيمارستاناً وصيدليّة، وبعد ذلك بيمارستاناً للنساء. ومن ثمّ بنت هذه البعثة التبشيريّة بيمارستاناً في يزد في العام 1316هـ/1898م، وآخر في كرمان في العام 1319هـ/1901م، وفي العام 1342هـ/1924م بنت بتمويل محمّد حسين نمازي، دارَ التوليد في شيراز، الذي تحوّل في ما بعد بمساعدة إدارة البرق الهندوأوروبيّة إلى بيمارستان كبير (جهان إسلام⁶⁶، ص 182). في العام 1343هـ/1925م، أسّس الدكتور كار (← الأسطر السابقة) بيمارستان مرسلين في شيراز (الكاظمي، حديث بتاريخ 25-7-2000). مع ذلك كلّه، يبدو أنّ السكّان المحليين لم يرحّبوا في بداية الأمر بهذه البيمارستانات؛ حتى أنّ أهالي إصفهان لم يسمحوا لأعضاء هذه البعثة ببناء مستشفى في الأحياء التي يسكنها المسلمون، لكنّ في نهاية المطاف بنى الدكتور كار في العام 1320هـ/1902م مستوصفاً في المدينة، ووهب تاجرٌ ثريّاً أيضاً قطعة أرض كبيرة لبناء مستشفى للرجال وللنساء. في هذه البيمارستانات كان الطلّاب يتعلّمون فنون الطبّ، ومن ثمّ سمحت الحكومة الإيرانيّة لأساتذتهم بإصدار شهادات الطبّ، كما منحت 1333 سهماً من ميزانيّة الدولة لبيمارستان إصفهان (ألغود، ص 535). بنت البعثة التبشيريّة الأميركيّة كذلك في العام 1321هـ/1903م بواسطة الدكتور فانك⁷⁶ بيمارستاناً في همدان، طوّر في العام 1335هـ/1916م. في العام 1323هـ/1905م شكّل في طهران أوّل "مجلس المحافظة على الصّحة"، ودوّن له نظامٌ داخليّ يفيد بتأسيس قرنطينات [محاجر صحيّة] في الموانئ الإيرانيّة، ومركز تلقّح الجدريّ، وإنشاء بيمارستان خاصّ بالنساء والرجال (إيران شهر، مج2، ص 1404)، وانتقلت إدارة بعض البيمارستانات الأجنبيّة إلى الحكومة الإيرانيّة. البعثة التبشيريّة الروسيّة، لم يكن لها نشاط يُذكر في مجال تأسيس البيمارستانات في إيران؛ في العام 1333هـ/1915م أرسل قنصل روسيا القيصريّة المدعو نيكيتين لجنةً إلى طهران لمكافحة وباء الكوليرا، وقد أسّس رئيسها الدكتور كاش بيمارستاناً في المدينة، كان هو المؤسّسة الوحيدة التي تحظى بدعم البعثة الأرثوذكسيّة (تمنّ، ص 243-244).

أسّس بيمارستان "طهران" الأوّل بمساعدة الألمان للقوات المسلّحة في أوّل الأمر، بإشراف الدكتور بولاك⁸⁶ والدكتور شليم⁹⁶ (رايت، ص 126-127؛ ألغود، ص 512). هذا البيمارستان الذي سُمّي في بعد "البيمارستان الحكوميّ" أو "البيمارستان الشاهنشاهيّ" تدهورت أوضاعه إلى حدّ تسميته بـ "مقبرة الأحياء" (سرنا، ص 135). وُضع المستشفى الحكوميّ بعد مضي اثنتي عشرة سنة على تأسيسه في خدمة أبناء الشعب، وبُني للجيش مستشفى آخر

⁶⁶- The Moslem World.

⁶⁷- Fank

⁶⁸- Polak

⁶⁹- Schlimmer

(ألغود، م. ن، ص. ن)، وقد طلب مظفر الدين شاه بعد وقت وجيز من إيلبرغ⁷⁰ طبيب السفارة الألمانية أن يعمل على تحديث نظامه. تطوّر هذا المستشفى الحكومي بفضل إشراف هذا الطبيب، الذي كان هو نفسه يعمل فيه، إلى حين مغادرة ممثليّات الدول الحليفة طهران في محرّم من العام 1334هـ/تشرين الثاني- نوفمبر من العام 1915م. غادر إيلبرغ إيران أيضًا، فعُيّن الدكتور لقمان الممالك، طبيب الشاه رئيسًا للبيمارستان (م. ن، ص 546)، لكنّ أوضاع هذا المستشفى اضطربت، لاضطرار أوار الحرب العالميّة الأولى، وإعطاء قسم منه للروس، إلى أن وافقت الحكومة الإيرانيّة في العام 1337هـ/1918م، أن ترسل إنجلترا طبيبين إليه، وأن تمنحه المساعدات الماليّة. وعمل فيه على أساس هذه الاتفاقيّة كل من الدكتور نليغان⁷¹ طبيب السفارة البريطانيّة، والدكتور سكوت⁷² رئيس القسم الطيّ في مديريّة البرق الهندوأوروبيّة (رايت، م. ن، ص. ن)، وثلاثة أطباء إيرانيين هم: لسان شمس المعروف بلسان الحكماء، والميرزا محمّد خان العلائي، وموسى خان، بصفتهم أوّل الأطباء فيه (ألغود، ص 546-548). سرعان ما عُرف هذا البيمارستان باسم البيمارستان "الإنجليزي" (رايت، ص 127). في العام 1340هـ/1922م، حين بدأت الأوضاع السياسيّة في إيران تتّجه نحو معاداة إنجلترا ونفوذها في البلاد، امتنعت الحكومة البريطانيّة عن تقديم الدعم الماليّ للمستشفى، وطلبت إلى شركة النفط الإيرانيّة-الإنجليزيّة أن تتولّى المحافظة عليه، واستمرّ البيمارستان يعمل بإشراف الأطباء الإنجليز والإيرانيين (ألغود، ص 554). سُمّي هذا البيمارستان في العام 1358هـ/1940م باسم "سينا" (نجمي، ص 421)، وتخلّص تدريجيًّا من سلطة الأطباء الإنجليز، وتولّى الإيرانيون إدارته بأنفسهم. لا يزال بيمارستان "سينا" حتى اليوم من أكبر البيمارستانات الحكوميّة وأرفعها مكانة، يُدار بإشراف كليّة الطبّ التابعة لجامعة طهران. بعد تأسيس البيمارستان الحكوميّ، أسّست في سائر المدن الإيرانيّة بيمارستانات جديدة تدريجيًّا، بمساعدة الأطباء الأجانب، أو بفضل الإيرانيين. ففي العام 1334هـ/1915م أسّس في بوشهر فضلًا عن البيمارستان التابع لممثليّة إنجلترا في المدينة (رايت، م. ن، ص. ن)، بيمارستان جديد بمساعدات ماليّة من التّجار المحليين، وبدأ عمله بإشراف طبيب إنجليزيّ، وتولّت إدارته هيئة مؤلّفة من إنجليزيين وإيرانيين (ألغود، ص 548). في السنة نفسها أسّست البعثة التبشيريّة الإنجليزيّة بيمارستانًا في مشهد برئاسة الدكتور كوك، كما أسّس أيضًا بيمارستان شاهرضا في تلك المدينة بمساعدة الألمان. في طهران أيضًا قام الدكتور سعيد مالك "لقمان الملك"، الذي كان رئيس مجلس المحافظة على الصّحة، ثمّ رئيس "المديريّة العامّة للصّحة"، بعد تأسيس معهد باستور

⁷⁰ - Ilberg

⁷¹ - Neligan

⁷² - Scott

الإيراني، ببناء الـبـيمـارـسـتـان الـوزـيـري (إيرانشهر، م. ن، ص. ن)، وعلـى أسـاس الإحصاءات الحكومـية في العام 1340هـ/1922م، وصل عدد بيمارستانات طهران إلى ثمانية (شهري بـاف، مـج1، ص 69). قام كذلك بإصلاح وتطوير الـبـيمـارـسـتـانـات والـقـرنـطـيـنـات في المـوانـي في جنوبي إيران، التي ظل الإنجليز يُديرونها حتى العام 1346هـ/1928م، حيث تولت الحكومة الإيرانية إدارتها، كذلك اشترى سفينة باسم ابن سينا خصصها للأمور الصحية، ولقرنطينات الخليج الفارسي، وتطهير السفن الداخلة في المياه الإيرانية (إيرانشهر، م. ن، ص. ن). في العام 1343هـ/1925م بنت بعثة "راهبات المحبة"³⁷ مستوصفاً في أرومية، وفي العام 1353هـ/1935م مستوصفاً آخر في إصفهان، ومركزاً علاجياً في طهران. قامت "راهبات المحبة" في المستشفيات الحكومية في المدن الإيرانية بأنشطة طبية وخيرية (إيرانشهر، مـج2، ص 1452).

فضلاً عن ذلك، في العام 1351هـ/1933م، بدأ مستشفى باسم المستشفى السوفياتي العمل في طهران، واستمر ناشطاً حتى العام 1403هـ/1938م، حيث توقف العمل فيه، إلى أن أعيد افتتاحه في العام 1361هـ/1943م بطلب من الحكومة الإيرانية، وفي العام 1366هـ/1947م وُضع في عهدة اتحاد منظمات جمعيات الصليب الأحمر السوفياتية، وألحق في العام 1403هـ/1983م بجامعة طهران، وأطلق عليه اسم بيمارستان الميرزا كوتشك خان. بعد أن عاد المستشفى السوفياتي إلى العمل في العام 1361هـ/1943م، افتتح فروعاً له في كل من تبريز وأرومية ومشهد.

منذ زمن بعيد، بادر أهل الخير إلى تأسيس الـبـيمـارـسـتـانـات الحديثة. فقد بنى آية الله الحاج السيد رضا الفيروزآبادي، عالم الدين الشهير، صاحب الخدمات، بيمارستاناً كبيراً في العام 1354هـ/1936م في مدينة الرّي، سُمي باسمه (م. ن، مـج2، ص 1405)، وكان يُحسب من الـبـيمـارـسـتـانـات الإيرانية ذات الأهمية. في العام 1368هـ/1949م، أسس تجار طهران بيمارستاناً باسم "التجار". في العام 1371هـ/1952م بُني من أموال أبي القاسم مفرح "بـيمـارـسـتـان مفرح" في طهران، وأوكلت إدارته إلى الحكومة، كما ورد في وقفيته. أسست في بعض المدن أيضاً بيمارستانات خيرية بدعم من العلماء، أو بإشرافهم، من بينهم الحاج الأغا نور الله الإصفهاني* في إصفهان، والحاج الشيخ عبد الكريم الحائري* في قم.

في العام 1356هـ/1938م بدأ بناء الـبـيمـارـسـتـان البهلوي المعروف الذي يضم ألف سرير (بـيمـارـسـتـان الإمام الخميني، الحالي) في طهران، ووضع قيد الاستخدام في العام 1365هـ/1946م. يُحسب هذا الـبـيمـارـسـتـان اليوم من الـبـيمـارـسـتـانـات الإيرانية الكبرى. في العام 1357هـ/1939م أسس بيمارستان خاص بمرضى السل في أحد المباني القديمة في شاه آباد (دار آباد) شميران.

هذا الوباء في طبرستان ما بعد، وافتتح أول مبانيه الكبرى في العام 1363هـ/ 1945م (م. ن، مج2، ص 1431).

في العام 1359هـ/ 1941م، أنشئت وزارة الصحة، وتولت الإشراف على جميع المحاجر الصحية [القرنطينات] الحدودية. ازدادت فعالية الحكومة الإيرانية لا سيما بعد إنشاء وزارة الصحة، لجهة إنشاء بيمارستانات جديدة في إيران. في العام 1360هـ/ 1942م أنشأت هذه الوزارة بيمارستان الفارابي، وبيمارستان النجاة وبيمارستان الشفاء، التي كانت من أكبر المستشفيات الإيرانية. في العام 1364هـ/ 1946م، بُني في محلة الإمامية في طهران بيمارستان آخر باسم "مصحة بوعلي"، مخصص لمرضى السل، وطور في العام 1377هـ/ 1958م (م. ن، مج2، ص 1432). في العام 1369هـ/ 1950م أسس في جنوبي إيران بيمارستان "شير وخورشيد سُرخ ايران" [مستشفى الأسد والشمس الحمراء الإيراني]. في العام 1370هـ/ 1951م أسست في طهران مؤسسة علم السرطان، بمساعدة جامعة طهران، وجمعية الأسد والشمس الحمراء، تحولت بعد ذلك إلى بيمارستان مجهز لمرضى السرطان (م. ن، مج2، ص 1424). في العام 1376هـ/ 1957م وما بعدها أسست كذلك في معظم المدن الإيرانية بيمارستانات عامة ومتخصصة، بجهود وزارة الصحة، أو كليات الطب، بحيث نرى في المدن الإيرانية الكبيرة والصغيرة، بما يتناسب وعدد سكان المدينة وموقعها الجغرافي ووضعها الاقتصادي، بيمارستانات مجهزة بمصحات تابعة لها، أو مستقلة عنها، لكنها كلها تتبع قانون تأسيس المؤسسات الطبية وإدارتها. في نصف القرن الأخير، بدأ القطاع الخاص أيضاً بتمويل إنشاء البيمارستانات، والمراكز الاستشفائية العديدة في المدن الإيرانية.

المصادر والمراجع: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، القاهرة 1299- 1300هـ/ 1882- 1883م؛ م. ن، بيروت 1957م؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ط. محمد عبد المنعم العريان، بيروت 1407هـ/ 1987م؛ ابن البلخي، فارس نامه [تاريخ فارس]، ط. غي لسترنج، ورينولد آلن نيكلسون، لندن 1921م، ط. أوفست طهران 1363ش [1984م]؛ ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، بولاق 1291هـ؛ ابن جليل، طبقات الأطباء والحكام، ط. فؤاد السيّد، القاهرة 1955م؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر آباد الدكن 1357- 1359هـ/ 1938- 1940م؛ ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، ط. كرامرس، ليدن 1967م؛ ابن النديم، كتاب الفهرست، ط. رضا تجدد، طهران 1350ش [1971م]؛ عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي، طبقات الشافعية، ط. كمال يوسف الحوت، بيروت 1407هـ/ 1987م؛ إبراهيم بن محمد الإصطخري، كتاب مسالك الممالك، ط. دخويه، ليدن 1967م؛ عباس إقبال الآشتياني، مجموعة مقالات عباس إقبال الآشتياني، قسم 1، جمع وتدوين محمد دبیر سياتي، طهران 1369ش [1990م]؛ إيران شهر، طهران: الجمعية

الوطنية لليونسكو في إيران، 1342-1343ش [1963-1964م]؛ أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، ط. رضوان محمد رضوان، بيروت 1398هـ/1978م؛ ط. أوفست قم 1404هـ؛ محمد تمدن، اوضاع ايران در جنگ اول، يا تاريخ رضائيه [الأوضاع الإيرانية في الحرب العالمية الأولى، أو تاريخ رضائية]، أرومية 1350ش [1971م]؛ تيمور الغوركاني، تزوكات تيموري [القوانين التيمورية]، تحرير أبي طالب الحسيني تربتي بالفارسية، أكسفورد 1773م، ط. أوفست طهران 1342ش [1963م]؛ إبراهيم تيموري، عصر بي خبري، يا، تاريخ امتيازات در ايران [العصر المجهول، أو، تاريخ الامتيازات في ايران]، طهران 1332ش [1953م]؛ عمرو بن بحر الجاحظ، البحلاء، بيروت 1407هـ/1987م؛ جعفر بن محمد الجعفري، تاريخ يزد، ط. إيرج أفشار، طهران 1343ش [1964م]؛ علينقي بن إسماعيل حكيم الممالك، روزنامه سفر خراسان [صحيفة رحلة خراسان]، طهران 1356ش [1977م]؛ أحمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، ط. عبد المنعم عامر، القاهرة 1960م، ط. أوفست قم 1368ش [1989م]؛ رشيد الدين فضل الله، سوانح الأفكار الرشيدية، ط. محمد تقي دانش بجوه، طهران 1358ش [1979م]؛ نفسه، وقفنامه ربع رشیدی [وقفية الربع الرشیدی]، ط. مجتبی مینوي وإیرج أفشار، طهران 1356ش [1977م]؛ أحمد بن أبي الخير زركوب الشيرازي، شيرازنامه [تاريخ شيراز]، ط. بهمن كريمي، طهران 1310ش [1931م]؛ عبد الوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ط. محمود محمد الطنحاي وعبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة 1964-1976م؛ محمد علي بن أحمد سديد السلطنة، بندر عباس وخليج فارس = أعلام الناس في أحوال بندر عباس، ط. أحمد اقتداري وعلي ستايش، طهران 1363ش [1984م]؛ كارلا سرنا، سفرنامه مادام كارلاسرنا: آدمها وأيينها در ايران [مدونة رحلة السيدة كارلاسرنا: الناس والعادات والتقاليد في ايران]، ترجمه بالفارسية علي أصغر سعیدی، طهران 1362ش [1983م]؛ جعفر شهري باف، تاريخ اجتماعي تهران در قرن سيزدهم [تاريخ طهران الاجتماعي في القرن الثالث عشر الهجري]، طهران 1367-1368ش [1988-1989م]؛ إبراهيم بن محمد الصريفيني، تاريخ نيسابور: المنتخب من السياق، ط. محمد كاظم محمودي، قم 1362ش [1983م]؛ محمد بن محمد عماد الدين الكاتب، تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار فتح بن علي البنداري، مصر 1318هـ/1900م؛ أحمد عيسى، تاريخ الییمارستانات في الإسلام، بيروت 1401هـ/1981م؛ أبو القاسم الفردوسي، شاهنامه الفردوسي، نص منقح، مج7، ط. م. ن. عثمانوف، موسكو 1968م؛ حسن بن الحسن الفسائي، فارسنامه ناصري [تاريخ فارس في عهد ناصر الدين شاه]، ط. منصور رستگار الفسائي، طهران 1367ش [1988م]؛

علي بن يوسف القفطي، تاريخ الحكماء، وهو مختصر الزوزني المسمّى
بالمختبرات المنتقاة من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ط. ليبرت،
لايبزيغ 1903م؛ محمد جواد الكاظمي، مؤسّسة علم معرفة فارس، شیراز،
مقابلة، 3 مرداد 1379ش [25- 7- 2000]؛ آرتور أمانويل كريستن سن،
ايران در زمان ساسانيان [ايران في العصر الساساني]، ترجمه بالفارسيّة
رشيد ياسمي، طهران 1351ش [1972م]؛ حسين كريمان، ري باستان [الرّي
القديمة]، مج2، طهران 1349ش [1970م]؛ محمود نجم آبادي، تاريخ طب در
ايران پس از اسلام: از ظهور اسلام تا دوران مغول [تاريخ الطب في ايران
بعد الإسلام: منذ ظهور الإسلام حتى العصر المغولي]، طهران 1353ش [1974م]؛ ناصر نجمي، طهران عهد ناصري [طهران في عهد ناصر الدين
شاه]، طهران 1364ش [1985م]؛ محمود ناظم نسيمي، "إبداع الرسول
العربي في فنّ الصحّة"، في أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند
العرب، مج1، حلب 1977م؛ سعيد نفيسي، "تاريخ البيمارستانات الإيرانيّة"،
شیر و خورشید سرخ ايران [جمعيّة الأسد والشمس الحمراء الإيرانيّة]، السنة 3
، العددان 9- 10 (1329- 1330ش [1950- 1951م])؛

أجنبي...

/صادق سجّادي/